صوت الأمة

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٨)	ربيع الآخر ١٤٣٧هـ
العدد الأول	يناير ٢٠١٦ م

المشـرف العام	رئيس التحريـر
عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد	أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـة:** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراك بهذا الاسم:	**دار التاليف والترجمة** Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراك السنوي:	في الهـند (١٥٠) روبيـة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

المنشـور لا يعبـر إلا عـن رأي كاتبـه

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
الافتتاحية:	
١- محاولة ممقوتة للنيل من الدعوة السلفية	
أسعد أعظمي بن محمد أنصاري	٣
الفقه الإسلامي:	
٢- المسح على الخفين	
فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين	١١
خصائص الإسلام:	
٣- الإسلام دين اليسر	
الشيخ لطف الحق المرشدآبادي	١٩
التوجيه الإسلامي:	
٥- الكنز المنسيّ مع نماذج من كنوز الصحابة رضي الله عنهم	
سليمان بن جاسر بن عبد الكريم الجاسر	٢٨
الأديان والفرق:	
٦- تأثر صوفية الهند بالأفكار الهندوسية	
سعيد الرحمن بن محمد حسين السلفي	٣٧
رحماء بينهم:	
٧- أفعال الرجال مرآة لما في قلوبهم	
بدر محمد باقر	٤٥
عبر ومواعظ:	
٨- وجاء الشتاء	
مصطفى دياب	٥٢
الفقه والفتاوى:	
٩- الفرق بين صلاة الرجل وصلاة المرأة	
الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري ..	٥٥
من أخبار الجامعة:	
١٠- من أخبار الجامعة السلفية	٥٩

الافتتاحية

محاولة ممقوتة للنيل من الدعوة السلفية

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

من الدعوات الإصلاحية التي ظهرت في العصور المتأخرة دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. تلك الدعوة التي كان لها أكبر الأثر في الإصلاح والتغيير في شبه الجزيرة العربية خاصة وفي العالم كله عامة، يعترف به الداني والقاصي وكل منصف. وفي الوقت نفسه يلاحظ أن هذه الدعوة تعرضت للنيل والانتقاص والتهم والافتراءات ما لم يتعرض لها أي دعوة أخرى. ولذلك أسباب ووجوه ليس هذا موضع بسطها. وهي معلومة مدروسة.

ومن أعجب الافتراءات وأخطرها التي رميت بها الدعوة ومؤسسها وأتباعها في الأيام الماضية القريبة ادعاء المدعو السيد سلمان الندوي أحد مدرسي دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ، الهند. فقد ادعى في كلمته مؤخرا أن الدعوة السلفية هي مصدر تنظيم داعش وكل الحركات الإرهابية الحديثة، وأن تعليمات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وابن تيمية هي التي تسبب في خلق التطرف والإرهاب لدى أتباعهم، إلى غير ذلك من المطاعن والشتائم التي سود بها عدة صفحات.

يجدر بالذكر أن الرجل قبل سنة أو أكثر كان قد وجه خطابا إلى أبي بكر البغدادي المجرم، لقبه فيه بـ "أمير المؤمنين". وفيما يلي بعض سطور خطابه:

"من سلمان الحسيني الندوي سبط الإمام أبي الحسن علي الندوي.

أحد خدام الإسلام

إلى أمير المؤمنين دولة الإسلامية في العراق والشام السيد أبي بكر البغدادي الحسيني – حفظه الله تعالى – ونفع به الأمة، ورفع به راية الإسلام ....

فضيلة الشيخ القائد الإسلامي إنني متابع منذ زمن لأخبار الدولة الإسلامية، كما تابعت أخبار أفغانستان من أيام الجهاد ضد السوفيات .... .

وقد استمعت إليكم ولم أشاهدكم، واستمعت إلى من يمثلكم، فأحسست – وكانت هي معلومات سابقة – بإيمان راسخ، وعقيدة سنية صحيحة، ومنهج إسلامي خالص ..... " الخ.

والآن انقلب الشيخ على عقبيه، وجعل يبدي براءته من شيخه وقائده وأميره، ويا ليته اكتفى بذلك. ولكنه تجاوز كل الحدود الأخلاقية والإنسانية إذ رمى – بكل وقاحة – الدعوة السلفية ومؤسسيها ومنسوبيها بتغذية الإرهاب وتوليد تلك المنظمة الإرهابية البغيضة التي كان يرى فيها بالأمس مستقبل الإسلام والخلافة الإسلامية. واستهدف دولة التوحيد المملكة العربية السعودية وقادتها وعلماءها، ووجه إليهم من التهم والمطاعن ما هم منها برآء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

والشيخ ينتمي إلى أسرة علمية دعوية، وهو من أبناء الصرح العلمي الشامخ المعروف في العالم بندوة العلماء، وسبط العلامة أبي الحسن علي الندوي، قد درس لعدة سنوات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وله علاقة وطيدة بعدد من الشخصيات الكبيرة هناك، وله أسفار كثيرة إلى أرض الحرمين الشريفين واستضيف حكوميا هناك لمرات وكرات. وقد أرسل ابنه أيضا للدراسة بجامعة الإمام بالرياض. وبعد كل هذا وذاك نصب نفسه للعداوة لهذه البلاد ورجالها وشعوبها، فجعل يسبهم ويشتمهم بشتائم يندى لها جبين الإنسانية. وآخر هذه الشتائم نسبة تنظيم "أمير المؤمنين" و "القائد الإسلامي" إلى هذه الدولة التي كانت قد ناصرت شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب واحتضنت دعوته ودافعت عنه.

والرجل لم يأت بجديد أبدا، وإنما ردد كل تلك الافتراءات والأكاذيب التي لفقها – من قبل – أعداء الدعوة وخصومها على مر القرنين أو أكثر، مع العلم بأن عددا غير قليل من المنصفين من غير أتباع الدعوة – فضلا عن أتباعها – قام بتفنيد تلك المزاعم والادعاءات، وبرأ ساحة الدعوة وإمامها ومؤيديها من كل تلك التهم والأكذوبات.

وينبغي أن يعلم أن رجال ندوة العلماء وكذلك مشايخ دار العلوم ديوبند – مع اختلافهم في بعض المسائل مع دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتعاليمه –

يكنون له التقدير والاحترام في الجملة، ويعترفون بخدماته في مجال الدعوة والإصلاح. بل قام عدد من أعلامهم بالدفاع عن الشيخ ودعوته دفاعا قويا. نذكر من أهمهم الشيخ مسعود عالم الندوي – أحد كبار علماء ندوة العلماء – إذ ألف كتابا قيما سماه بـ: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب: مصلح مظلوم ومفترى عليه" وذلك عام ١٣٦١هـ. والشيخ محمد منظور عالم النعماني، ألف "دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها على علماء الحق". كما يوجد في كتابات العلامة أبي الحسن الندوي المتفرقة ثناء عطرا على شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأهمية الدعوة التي قاما بها. وسوف نأتي إلى مقتطفات من كلام هؤلاء الأعلام في السطور القادمة، إن شاء الله.

كتب الشيخ دحلان:

إن الشيخ سلمان الندوي قد استدل لإثبات فريته بكلام الشيخ أحمد زيني دحلان المعروف بعدائه للدعوة السلفية وافتراءاته عليها. ولذلك نود أن نورد من كلام هؤلاء العلماء الهنود من غير السلفيين ما يمكن به معرفة مدى ثقتهم بالشيخ دحلان ونظرتهم لكتاباته. يقول العلامة مسعود عالم الندوي في معرض ذكره لأساتذة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب:

"لم يذكر ابن غنام ولا ابن بشر تتلمذه على الشيخ سليمان الكردي، وتفرد بذكره أحمد زيني دحلان فقط (الدرر السنية ص ٣٥- ٤٢) وبكل قوة، ولكن كتابه هذا، وكذلك كتابه خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام مليء بالأخطاء بل الافتراءات حتى أن القلب لا يرضى أن يقبل هذه الرواية التي لا تضر شيئا". (محمد بن عبدالوهاب: مصلح مظلوم ومفترى عليه، ص: ٤١، هامش رقم ١)

ويقول أيضا بعد نقل إحدى الوقائع من كتب دحلان:

"هذه رواية دحلان، الذي لا توجد في أي من كتابيه (الدرر السنية في الرد على الوهابية، وخلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام) تواريخ صحيحة، ولا دونت الحوادث والوقائع بصدق وأمانة، ولم تعين السنوات أيضا". (ص: ٩٢)

وذكر الشيخ مسعود في ضمن افتراءات الخصوم على الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن الشيخ كان يرغب في ادعاء النبوة، وكان أحمد زيني دحلان يردد هذا الاتهام نفسه بهذه الكلمات:

"والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك" (الدرر السنية، ص: ٤٦) ومن الافتراءات أيضا نسبتهم تكفير المسلمين وقتالهم إلى الشيخ، فذكر الشيخ مسعود أن من هؤلاء المفترين "أحمد زيني دحلان، فكأنه يتقرب إلى الله بعداء هذه الجماعة، وقد ردد هذا الاتهام مرات عديدة" (انظر: الدرر السنية، ص: ٤٥، ٤٦، وخلاصة الكلام، ص: ٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢) (ص: ٢٠٤).

وقال في معرض ذكره لكتاب دحلان "الدرر السنية في الرد على الوهابية" في قائمة مراجع كتابه:

"وكان لكتب دحلان النصيب الأكبر في ترويج الأكاذيب في السنين المتأخرة، أي منذ ستين أو سبعين سنة" (ص: ٢٤٧).

ويقول الشيخ محمد منظور النعماني:

"وما قاله الشيخ أحمد زيني دحلان في كتابه "خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام" – الذي تم تأليفه في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري – فيما يتصل بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، كفيل بإثارة حفيظة المسلمين – إذا اعتقدوا صحته – وبعث سخطهم وغضبهم الحنق ..". (دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... ص: ٥٨ – ٥٩).

ويقول أيضا بعنوان: "نماذج من الافتراءات والتهم الشنيعة":

"ومن شاء فليقرأ كتاب "خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام" و "الدرر السنية في الرد على الوهابية" لمؤلفهما الشيخ أحمد زيني دحلان .. ليتبين مدى الشائعات المكذوبة التي كانت قد أخذت نصيبها من الامتداد والشيوع في الحرمين الشريفين – وبالتالي في العالم كله - ..". (دعايات مكثفة .. ص: ٢٨)

ويقول بعد ذكر بعض أكاذيب الشيخ دحلان:

"والذي وجه الشيخ أحمد زيني دحلان إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه العبارة وغيرها من التهم الشنيعة لم يحله على كتاب للشيخ أو لأحد من أتباعه. وإن كاتب هذه السطور يؤكد – في ضوء دراسته – أنه لا يصح شيء من هذه التهم ..". (ص:٣٠).

الدعوة وإمامها:

أثنى الشيخ مسعود عالم كثيرا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته وخدماته، وقد درس كل عقائده وأفكاره وخلص إلى النتيجة التي لخصها في عباراته التالية:

"إن دعوة شيخ الإسلام التي تسمى "الوهابية" ليست شيئا جديدا، فإنه لا يقدم شيئا غير التعليم الصحيح للكتاب والسنة، إلا أن دعوته أسيئت سمعتها بين الناس باسم الوهابية للأغراض السياسية. وكأنها دعوة إلى دين غير الإسلام". (ص: ١٧٥)

"فكانت جريمة شيخ الإسلام هي أنه جهر بدعوة التوحيد وأكد على الناس اجتناب الشرك وأنجاسه وذم الأوثان من دون الله ونهى عن الحلف بغير الله والنذر لغيره وعبادة القبور، بكل تصريح ووضوح، فإن كان هذا ذنبا فيجب على كل مسلم أن يرتكب هذا الذنب بكل إخلاص". (ص: ١٨٢)

وقال عن الدعوة الإصلاحية في الهند والدعوة الإصلاحية في نجد:

"وكل ما أقول إنهما كانتا جماعتين مخلصتين قامتا لله ولم تألوا جهدا في سبيل إعلاء كلمة الله في حدود المساعي البشرية. فعلينا أن ندرس أعمالهما. أما مجرد الاقتناع بما يسمع أو بدعاية الأعداء والمشايخ الجهال والمتصوفة فإنه ليس من شيمة طلاب الحق". (ص: ٢٦)

وقال بعد ذكر آراء الشيخ وعقائده خاصة عن القبور وما يرتكب عندها من البدع:

"فأتباع محمد بن عبد الوهاب إنما يدعون المسلمين أن ينتهوا من هذه البدع ويتركوها، والذي لا يمتنع بعد تنبيهات متكررة فإنهم يعاملونه بشدة. وشدتهم هذه في العمل توصف بعدة من الشتائم الفقهية، وعلى هذا الأساس افتريت عليهم افتراءات لا أصل لها بمجرد الظن والقياس. ومن الصعب جدا أن نذكر في هذا الكتاب تلك الشتائم والافتراءات التي سودت مئات من الصفحات، ولكن مع ذلك فسنقدم في الصفحات الآتية نماذج من تلك الافتراءات الكاذبة". (ص: ١٩٠)

ومن المفتريات على الدعوة نسبة "إنكار الحديث" أيضا إلى الشيخ وأتباعه، فبعد ذكره لهذا الافتراء واسم الرجل المفتري يقول الشيخ مسعود عالم في الهامش:

"وهذا أمر لا ينحصر في هذا الرجل فقط، بل عامة المثقفين والعلماء في بلادنا مبتلون بهذا. فلا يزالون يكتبون أمثال هذه الكلمات المكذوبة على هذه الجماعة، وقد سبقهم المولوي فضل رسول بدايوني (م سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨١٢م) فقد كتب كتابا يسمى (تصحيح المسائل في الرد على الفرقة النجدية الأراذل) ولكنه مجموعة خرافات ليس إلا. وكذلك معاصر آخر في كتابه (آثار جمال الدين) يذكر في حق هذه الجماعة أمورا لا أصل لها. (ص: ٢٣٦، ٢٣٧) فبيانه المشتمل على صفحتين مجموعة مؤلمة من الأخطاء والفهم السيء حتى أنه لا يفرق بين عقيدة السنوسيين والوهابية النجديين، ص ٢٣٩". (ص: ٢٠٢)

ويقول الشيخ محمد منظور النعماني:

".. وتوصلت من هذه الدراسة الموسعة إلى أنه (أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ينحو – في فكرته ومسلكه – منحى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه كالحافظ ابن القيم وغيره، إلى حد كبير، وأنه يقف من الرد على الشرك ومحاربته والدعوة إلى التوحيد الخاص – بفرق يسير – نفس الموقف الذي يقفه الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الشهيد في كتابه "تقوية الإيمان" ..." (دعايات مكثفة .... ص: ٢٤)

ويقول أيضا:

"قد كان الشيخ محمد (بن عبد الوهاب) في أسلوب تفكيره الديني يلتقي مبدئيا مع شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه كالحافظ ابن القيم ومن إليه، وقد كان أكابر أسلافنا يعدونه من كبار أعلام الفكر والدين في الأمة الإسلامية (على الرغم من اختلافهم معه في بعض الآراء والنظريات والقضايا) وكانوا لا يذكرونه إلا بكل صفات الإكرام والإجلال. وقد سردنا في الصفحات الماضية رسالة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري إلى رئيس تحرير صحيفة "زمين دار" التي قال فيها عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه النابغة ابن القيم: "وكلا الإمامين من أجلة العلماء عند علمائنا أيضا". (دعايات مكثفة .. ص: ٦٩ – ٧٠)

شيخ الإسلام ابن تيمية:

قد أساء الشيخ سلمان الندوي إلى شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا بنسبة الإرهاب والتطرف إليه وإلى كتاباته، في حين نرى أكابره وأجداده يثنون على هذا المجدد ويمدحونه بذكر أعماله ومآثره وخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين. وقد خصص الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمه الله الجزء الثاني من كتابه "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وتحدث بكل بسط وتفصيل عن جوانب متعددة من حياته وآثاره وأعماله. ونظرة سريعة إلى عناوين بعض فصوله ومباحثه تكشف لنا مدى إعجابه بشخصية ابن تيمية وبخدماته الجليلة. فمن هذه العناوين:

الحاجة إلى ترجمان للشريعة ومصلح شامل، ميزات ابن تيمية البارزة وخصائصه، خصائصه التأليفية، أسباب معارضة ابن تيمية بين نقاده والمدافعين عنه، شيخ الإسلام ابن تيمية كعارف بالله ومحقق، تجديد علوم الشريعة وتنشيط الفكر الإسلامي، تأثير ابن تيمية في القرون المتأخرة، الدور الإصلاحي والتجديدي لابن تيمية، الخ.

وبعد ذكر صفات وميزات ذلك العالم الكامل والداعية المخلص الذي كان ذلك العصر في حاجة إليه يقول الشيخ:

"كان القرن الثامن بحاجة إلى مثل هذا الرجل الكامل، الذي يسع نشاطه كل مجال من مجالات الحياة من غير أن تنزوي جهوده وأعماله في زاوية واحدة، أو تتركز على جانب واحد.

كان ذلك الرجل هو شيخ الإسلام الحافظ (ابن تيمية) الذي ملأ العالم الإسلامي بنشاط وحياة، بحركات علمية وعملية لا تزال آثارها خالدة باقية على مر القرون والأجيال". (رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٢ / ٣٣)

ونقل الشيخ أبو الحسن الندوي قول الشاه ولي الله الدهلوي في الدفاع عن ابن تيمية:

"والذين عارضوه، وتعقبوا عليه، لم يبلغوا معشار ما آتاه الله من العلم العميق والنظر الدقيق..." (٢ / ١٥٣).

وكذلك قوله:

"فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العلم، ومن يطق أن يلحق شأوه في تحريره وحديثه؟ والذين ضيقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى" (٢ / ١٥٤).

وبعد نقل كلام الشاه بطوله يقول الندوي رحمه الله:

"وبعد هذه التزكية والشهادة من شيخ الإسلام (ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي) وثنائه البالغ على ابن تيمية لا يقام أي وزن لنقد أو جرح يصدران من عالم أو مؤلف لا يبلغ إلى آفاق ابن تيمية العلمية والفكرية". (٢ / ١٥٤)

السلفية قبل القرن العشرين:

وادعى الشيخ سلمان الندوي أنه لا يوجد أحد من الآلاف المؤلفة من العلماء والمشايخ ينتسب إلى السلفية ويلقب بـ "السلفي" قبل القرن العشرين. وبطلان هذه الدعوى معروف لدى كل مطلع على كتب الأنساب والتراجم والتاريخ. فها هو السمعاني (م ٥٦٢ هـ = ١١٦٤م) وابن الأثير (م٦٣٠هـ = ١٢٣٣م) وطاش كبرى زاده (م٩٦٨هـ = ١٥٦٠م) يوجد في كتبهم (الأنساب، اللباب، مفتاح السعادة) كلمة "السلفي" وشرح معناها وذكر من ينتسبون إليها من العلماء، وكذلك يوجد في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (م٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) وفي كلام الذهبي (م ٧٤٨هـ = ١٣٤٨م) وفي كلام ابن خلدون (م ٨٠٨هـ = ١٤٠٥م) كلمات "السلفية" و "الطريقة السلفية" و "العقائد السلفية" و "مذهب السلف" وماإلى ذلك.

وملخص القول أن دعاوي السيد سلمان الندوي زائفة باطلة، وبطلانها أظهر وأوضح من وضوح الشمس في رابعة النهار. وإثارته لهذا الموضوع في مثل هذا الوقت بالذات يدعو للعجب والحيرة، إذ أن الأمة الإسلامية، بما فيها الشعب السعودي والسلفيون في العالم، تعاني من إرهاب هذا التنظيم وتصرفاته المشينة وأعماله الإجرامية من قتل الأبرياء من الرجال والنساء والولدان من المسلمين وغير المسلمين، واستهداف المساجد والمصلين والركع السجود. وكل ذلك باسم الإسلام وبراية الإسلام وبدعوى الدفاع عن الإسلام والمسلمين. وبمجرد التماثل في بعض الآراء والأعمال بين التنظيم المتطرف والدعوة الإصلاحية السلفية مع وجود مفارقات واضحة ومعلنة من الدعوة وأتباعها، الدعوى باطلة. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

❖❖❖

الفقه الإسلامي

المسح على الخفين

فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

بحوث في المسح على الخفين:

هذه بحوث في المسح على الخفين:

البحث الأول: في المسح على المخرق وما ترى منه البشرة لصفائه أو رقته.

وفي هذا خلاف بين العلماء.

فالمشهور من مذهب الإمام أحمد أن المسح عليه لا يصح. قال في المنتهى في معرض ذكر شروط المسح: وأن لا يصف البشرة لصفائه أو خفته. وذكر قبله أنه يشترط ستر محل الفرض.

وفي المجموع فقه الشافعية للنووي (١ / ٤٨٠) ذكر قولين في الخف المخرق أصحهما لا يمسح. وفي ص (٤٨١) منه أن ابن المنذر حكى عن الثوري وإسحاق ويزيد بن هارون وأبي ثور جواز المسح على جميع الخفاف. قال ابن المنذري: وبه أقول لظاهر إباحة رسول الله صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين قولا عاما يدخل فيه جميع الخفاف. أ.هـ.

وفي الاختيارات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (١٣) أن الخف المخرق يجوز المسح عليه ما دام اسم الخف باقيا والمشي فيه ممكنا، وهو قديم قولي الشافعي واختيار أبي البركات وغيره من العلماء.

وفي المحلى (٢ / ١٠٠) جواز المسح على المخرق ولو ظهر أكثر القدمين ما دام يتعلق بالرجلين منهما شيء، ونقل عن سفيان الثوري أنه قال: امسح ما دام يسمى خفا.

وفي المجموع (٢ / ٤٨٢) إذا تخرقت الظهارة فإن كانت البطانة صفيقة جاز المسح وإلا فلا، لأنه كالمكشوف. قال: وحكى الروياني والرافعي وجها غريبا ضعيفا أنه يجوز وإن كانت البطانة رقيقة.

وفي ص (٤٨٤) حكى ابن المنذر إباحة المسح على الجورب عن تسعة من الصحابة رضي الله عنهم إلى أن قال: وحكى أصحابنا عن عمر وعلي رضي الله عنهما جواز المسح على الجورب وإن كان رقيقا، وحكوه عن أبي يوسف ومحمد وإسحاق وداود. أ.هـ.

وفي ص (٤٨٦) إذا لبس خف زجاج يمكن متابعة المشي عليه جاز المسح عليه وإن كان تُرى تحته البشرة.

وفي ص ٢٤ ج ١ من جواهر الإكليل شرح مختصر خليل أن الجورب ملبوس رجل على هيئة الخف منسوج من قطن أو كتان أو صوف يسمى في عرف أهل مصر شرابا.

البحث الثاني: إذا لبس خفا على خف فلا يخلو من حالين:

الأولى: أن يكون بعد الحدث فالحكم للأسفل، ولا يُمسح الأعلى.

الثاني: أن يكون قبل الحدث فهو بالخيار، فإن مسح الأسفل تعلق الحكم به ولا يضره نزع الأعلى، وإن مسح الأعلى تعلق الحكم به. فإن نزعه لزم نزع الأسفل، ومتى مسح أحدهما لم ينتقل إلى الثاني. ولا يصح المسح عليهما إن كانا مخرقين، ولا على الأسفل إن كان هو المخرق.

وفي الفروع (١ / ١٦٠): ولا يمسح خفين لبسا على ممسوحين . . . ويتوجه الجواز (و) لمالك. وفي ص (١٧٢): وإن نزع خفا فوقانيا مسحه فعنه يلزم نزع التحتاني . . . فيتوضأ أو يغسل قدميه على الخلاف، وعنه لا يلزمه (و هـ م) فيتوضأ أو يمسح التحتاني مفردا على الخلاف. أ. هـ.

قلت: وعلى القول بأن النزع لا ينقض الطهارة لا شيء عليه.

وفي المجموع للنووي (١ / ٤٩٠) إذا جوزنا المسح على الجرموق (ملبوس رجل يُلبس فوق الخف لاسيما في البلاد الباردة) فقد ذكر أبو العباس بن سريج فيه ثلاثة معان،

أصحها أنه بدل عن الخف، والخف بدل عن الرجل. الثاني: أن الأسفل كلفافة والأعلى هو الخف. والثالث: أنهما كخف واحد، فالأعلى ظهارة والأسفل بطانة، وفرّع الأصحاب على هذه المعاني مسائل كثيرة، وذكر منها لو نزعه بعد مسحه وبقي الأسفل بحاله، فإن قلنا بالأول لم يجب نزع الأسفل فيمسحه لكن هل يكفيه مسحه أو لابد من إعادة الوضوء فيه القولان في نازع الخفين. وإن قلنا بالثالث فلا شيء عليه. وإن قلنا بالثاني وجب نزع الأسفل وغسل القدمين. وفي وجوب استئناف الوضوء القولان.

فحصل من الخلاف في المسألة خمسة أقوال:

أحدها: لا يجب شيء، وأصحها مسح الأسفل فقط.

الثالث: يجب مسحه مع استئناف الوضوء.

الرابع: يجب نزع الخفين وغسل الرجلين.

الخامس: يجب النزع واستئناف الوضوء.

وفي ص (٤٩٠) أيضا: إذا لبس الخف على طهارة ثم أحدث ومسح عليه، ثم لبس الجرموق على طهارة المسح، ففي جواز المسح عليه وجهان مشهوران، ثم قال عن الجواز: إنه الأظهر المختار، لأنه لبس على طهارة. وقولهم إنها طهارة ناقصة غير مقبول. قال الرافعي: قال الشيخ أبو علي: إذا جوزنا المسح هنا فابتداء المدة من حين أحدث بعد لبس الخف لا من لبس الجرموق. أ. هـ. وقوله من حين أحدث بناء على أن ابتداء المدة من الحدث، وسيأتي الخلاف في ذلك.

البحث الثالث: في توقيت مدة المسح

وفي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، فجمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أن المسح موقت بيوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر. وقال بعض العلماء: لا توقيت فيه. وفي المجموع (١ / ٤٦٧): حكاه أصحابنا عن أبي سلمة ابن عبدالرحمن والشعبي وربيعة والليث وأكثر أصحاب مالك، وهو المشهور عنه. وعنه أنه موقت، وعنه موقت للحاضر دون المسافر. قال ابن المنذر: وقال سعيد بن جبير يمسح من غدوة إلى الليل. أ. هـ.

وقال شيخ الإسلام في الاختيارات ص (١٥): ولا تتوقت مدة المسح في المسافر الذي يشق اشتغاله بالخلع واللبس كالبريد المجهز في مصلحة المسلمين.

وإذا قلنا بالتوقيت فمن أي يبتدئ؟ الجمهور من أهل العلم على أن ابتداء المدة من أول حدث بعد اللبس. وفي المجموع (١ / ٤٧٠): وقال الأوزاعي وأبو ثور: ابتداء المدة من حين يمسح بعد الحدث، وهو رواية عن أحمد وداود وهو المختار الراجح دليلا، واختاره ابن المنذر وحكى نحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحكى الماوردي والشاشي عن الحسن البصري أن ابتداءها من اللبس. أ. هـ.

البحث الرابع: إذا تغيرت حال اللابس من إقامة إلى سفر أو بالعكس فبأيهما يعتَبرُ؟

وهذا له ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يكون التغير قبل الحدث مثل أن يلبس الخفين مقيما ثم يسافر قبل أن يحدث، أو يلبسهما مسافرا ثم يقدم بلده قبل أن يحدث. ففي المسألة الأولى يمسح مسح مسافر، قال في المجموع (٢ / ٤٧٢) بالإجماع، وفي المسألة الثانية يمسح مسح مقيم، ولا إشكال في ذلك.

الحال الثانية: أن يكون التغير بعد الحدث وقبل المسح، مثل أن يلبس الخفين مقيما ثم يحدث ثم يسافر قبل أن يمسح، أو يلبسهما مسافرا ثم يحدث ثم يقدم بلده قبل أن يمسح. ففي المسألة الأولى يمسح مسح مسافر. قال في الإنصاف (١ / ١٧٩): هذا المذهب وعليه الأصحاب ورمز لذلك في الفروع (١ / ١٦٨) بالواو إشارة لموافقة الأئمة الثلاثة. قال: وعنه مسح مقيم . . . الخ. ا. هـ.

وفي المغني (١ / ٢٩٠) لا نعلم خلافا أنه يتم مسح مسافر. وفي المسألة الثانية يمسح مسح مقيم، ولم أر في ذلك خلافا.

الحال الثالثة: أن يكون التغير بعد الحدث والمسح مثل أن يلبس الخفين ويمسح عليهما مقيما ثم يسافر، أو يلبس الخفين ويمسح عليهما مسافرا ثم يقدم بلده بعد ذلك، ففي هذه الحال خلاف بين أهل العلم.

أما المسألة الأولى: فلا يخلو إما أن تكون مدة مسح المقيم قد انتهت أو لا.

فإن كانت قد انتهت فلا مسح، ولم أر في ذلك خلافا إلا ما ذكره في المحلى (٢ / ١٠٩) أنه يتم مسح مسافر، وإن كانت مدة مسح المقيم باقية ففي ذلك خلاف. فمذهب مالك والشافعي وأحمد في رواية عنه وإسحاق وداود في رواية عنه يتم مسح مقيم، ومذهب أبي حنيفة والثوري يتم مسح مسافر، وهو رواية عن أحمد وداود. انظر المجموع (١ / ٤٧٢).

قال في المغني (١ / ٢٩٢): قال الخلال: رجع أحمد عن قوله الأول إلى هذا. وفي الإنصاف (١ / ١٧٨) عن صاحب الفائق: هو النص المتأخر وهو المختار. أ. هـ.

وأما المسألة الثانية: فلا يخلو إما أن تكون مدة مسح المسافر قد انتهت أو لا.

فإن كانت قد انتهت فلا مسح، وإن كانت باقية أتم مسح مقيم إن بقي من مدته شيء. قال في المغني (١/ ٢٩٣): وهذا قول الشافعي وأصحاب الرأي، ولا أعلم فيه مخالفا أ. هـ. ورمز لذلك في الفروع (١ / ١٦٨) بالواو إشارة لموافقة الأئمة الثلاثة. قال: وفي المبهج مسح مسافر إن كان مسح مسافرا فوق يوم وليلة أ. هـ. وفي المحلى (٢ / ١٠٩) يبتدئ مسح مقيم إن كان قد مسح في السفر يومين وليلتين فأقل وإلا أتم مسح مسافر إن بقي من مدته شيء.

البحث الخامس: إذا انتهت مدة المسح أو نزع الممسوح فهل تبقى الطهارة أو تنتقض؟

في هذا خلاف بين العلماء. ذكره في المجموع (١ / ٥١١).

القول الأول: تبقى طهارته ولا يلزمه شيء، فيصلي بطهارته ما لم يحدث. وقد حكاه ابن المنذر عن الحسن البصري وقتادة وسليمان بن حرب واختاره. قال النووي: وهو المختار الأقوى.

قلت: واختاره ابن حزم (٢ / ٩٤) ونقله في المسألة الأولى (انتهاء المدة) عن إبراهيم النخعي والحسن البصري وابن أبي ليلى وداود وقال: هذا هو القول الذي لا يجوز غيره.

قال ص (٩٥): ولو مسح قبل انقضاء أحد الأمدين بدقيقة كان له أن يصلي به ما لم يحدث.

وقال عن المسألة الثانية (٢ / ١٠٥) إنه قول طائفة من السلف. وهو أيضا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية في المسألتين.

القول الثاني: يلزمه غسل القدمين فقط، وبه قال عطاء وعلقمة والأسود، وحكي عن النخعي، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري وأبي ثور والمزني ورواية عن أحمد.

القول الثالث: يلزمه الوضوء، وبه قال مكحول والنخعي والزهري وابن أبي ليلى والأوزاعي والحسن ابن صالح وإسحاق، وهو أصح الروايتين عن أحمد.

القول الرابع: يلزمه الوضوء إن طال الفصل بين النزع وغسل الرجلين وإلا كفاه غسل الرجلين، وبه قال مالك والليث.

وإلى هنا تم ما أردنا كتابته، فنسأل الله تعالى أن ينفع بها إنه جواد كريم.

تم ذلك في يوم الأربعاء الموافق ١٦ ربيع الثاني عام ١٤٠٧ هـ.

مسائل في المسح على الخفين:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فهذه مسائل في المسح على الخفين اقتصرت فيها على ما رأيته صوابا بمقتضى الأدلة الشرعية، أسأل الله تعالى أن تكون خالصة لله صوابا على شريعة الله.

١ – اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في جواز المسح على الخف المخرق. والصحيح جوازه ما دام اسم الخف باقيا، وهو قول ابن المنذر، وحكاه عن الثوري، وإسحاق، ويزيد بن هارون، وأبي ثور، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية ما دام اسم الخف باقيا والمشي به ممكنا.

٢ – ويجوز المسح على الخف الرقيق على القول الصحيح. قال النووي: حكى أصحابنا عن عمر وعلي رضي الله عنهما جواز المسح على الجورب وإن كان رقيقا، وحكوه عن أبي يوسف ومحمد وإسحاق وداود. وقال: الصحيح بل الصواب ما ذكره

القاضي أبوالطيب والقفال وجماعات من المحققين أنه إن أمكن متابعة المشي عليه جاز كيف كان وإلا فلا.

٣ – مدة المسح يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر. وابتداء المدة من أول مرة مسح بعد الحدث على القول الصحيح، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وبه قال الأوزاعي وأبو ثور، واختاره ابن المنذر وحكى نحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال النووي: وهو المختار الراجح دليلا.

٤ – إذا لبس في الحضر ثم سافر قبل أن يحدث فمسحه مسح مسافر.

٥ – إذا لبس في السفر ثم أقام قبل أن يحدث فمسحه مسح مقيم.

٦ – إذا لبس في الحضر فأحدث ثم سافر قبل أن يمسح فمسحه مسح مسافر.

٧ – إذا لبس في السفر فأحدث ثم أقام قبل أن يمسح فمسحه مسح مقيم.

٨ – إذا لبس في الحضر فأحدث ومسح ثم سافر قبل أن تنتهي مدة المسح أتم مسح مسافر على القول الصحيح، وهو مذهب أبي حنيفة، والرواية التي رجع إليها أحمد عن قوله يتم مسح مقيم. قال في الفائق: وهو النص المتأخر – يعني عن أحمد – وهو المختار. أ. هـ.

وإن انتهت مدة المسح قبل أن يسافر وجب عليه عند الوضوء خلعهما وغسل الرجلين.

٩ – إذا لبس في السفر فأحدث ومسح ثم أقام أتم مسح مقيم إن بقي من المدة شيء وإلا خلع. قال في المغني: لا أعلم فيه مخالفا.

١٠ – إذا لبس جوربا أو خفا ثم لبس عليه آخر قبل أن يحدث فله مسح أيهما شاء.

١١ – إذا لبس جوربا أو خفا ثم أحدث ثم لبس عليه آخر قبل أن يتوضأ فالحكم للأول.

١٢ – إذا لبس جوربا أو خفا ثم أحدث ومسحه، ثم لبس عليه آخر، فله مسح الثاني على القول الصحيح.

قال في الفروع: ويتوجه الجواز وفاقا لمالك. أ. هـ.

وقال النووي: إن هذا هو الأظهر المختار، لأنه لبس على طهارة وقولهم إنها طهارة ناقصة غير مقبول. أ. هـ. وإذا قلنا بذلك كان ابتداء المدة من مسح الأول.

١٣ – إذا لبس خفا على خف أو جورب ومسح الأعلى ثم خلعه، فهل يمسح بقية المدة على الأسفل؟ لم أر من صرح به لكن ذكر النووي عن أبي العباس بن سريج فيما إذا لبس الجرموق على الخف ثلاثة معان: منها أنهما يكونان كخف واحد، الأعلى ظهارة والأسفل بطانة.

قلت: وبناء عليه يجوز أن يمسح على الأسفل حتى تنتهي المدة من مسحه على الأعلى كما لو كشطت ظهارة الخف فإنه يمسح على بطانته.

١٤ – إذا خلع الخف أو الجورب بعد مسحه لم تنتقض طهارته بذلك، فيصلي ما شاء حتى يحدث على القول الصحيح، حكاه ابن المنذر عن جماعة من التابعين، واختاره وحكاه ابن حزم عن طائفة من السلف. قال النووي: وهو المختار الأقوى، واختاره أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٥ – إذا تمت مدة المسح لم تنتقض طهارته بذلك، فيصلي ما شاء حتى يحدث على القول الصحيح، واختاره من اختار عدم النقض في المسألة التي قبلها. قال ابن حزم: وهو القول الذي لا يجوز غيره. وقال أيضا: لو مسح قبل انقضاء أحد الأمدين – يعني أمدي المسافر والمقيم – بدقيقة فإن له أن يصلي به ما لم يحدث. أ. هـ.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

حرر في ٧ من ربيع الثاني عام أحد عشر وأربع مائة وألف ٧ / ٤ / ١٤١١ هـ على يد محرره محمد الصالح العثيمين، والحمد لله رب العالمين.

❖❖❖

خصائص الإسلام

الإسلام دين اليسر

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

إن الإسلام دين يسر، وليس دين عسر وحرج وعنت ومشقة كديانات أخرى تكلف أتباعها بما لا يطيقون من أداء طقوسهم الدينية، بخلاف الدين الحنيف، فإنه لا يكلف أتباعه إلا بما يطيقون من الأعمال، ومن أداء العبادات والطاعات. ولذلك ترى أن الإسلام لقد راعى ناحية اليسر والسماحة في جميع الأوامر والنواهي، وفي العبادات والطاعات كلها، كيلا يشق على الإنسان امتثالها وأداؤها كما ستمرّ بك أمثلة ذلك في السطور القادمة إن شاء الله.

وإني أود الآن أن ألقي فيما يلي بعض الأضواء على كون الإسلام دين اليسر والسماحة بإيجاز مستمدا في ذلك من نصوص الكتاب والسنة.

أخي القارئ الكريم – وفقك الله – إنك إذا نظرت في كتاب الله تعالى وجدت أن الله تعالى جعل الدين الحنيف يسرا، وميّزه عن سائر الأديان والمذاهب في باب التيسير بميزات وسمات، وجعل جميع الأوامر والنواهي، والعبادات والطاعات والتعليمات والتشريعات والتنظيمات ميسرة لمن يأخذها ويعمل بها.

ومن ذلك ما أشار إليه الرب تبارك وتعالى في كتابه العظيم بقوله: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} (سورة البقرة: ١٨٥).

ومن ذلك قوله تعالى: {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون} (سورة المائدة: ٦).

وقال تعالى: {وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) (سورة الأنبياء: ٧٨).

وقال: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} (سورة البقرة: ٢٨٦).

وأرشد سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى أن يدعوا ربهم بهذا الدعاء: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} (سورة البقرة: ٢٨٦).

وقد يسر الله تعالى القرآن العظيم وما فيه من الهدايات والدروس والتوجيهات والعظات لمن يتذكر ويتبصر به فقال: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}. (سورة القمر:١٧).

وأرشد إلى أن المرء يتقي الله ربه ما استطاع فقال: {فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا} (سورة التغابن: ١٦).

والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

وفي هذه الآيات الكريمة المتقدمة كلها إرشاد إلى أن الإسلام دين اليسر والسماحة، لا دين عسر وشدة وعنت ومشقة وحرج.

عرفت مما مر من الآيات الكريمة أن الله تعالى جعل الدين الإسلامي الحنيف ميسرا سمحا سهلا للناس لاتباعه والعمل به، ولم يجعل أوامر دينه وشرائعه وتشريعاته وهداياته وتعليماته شاقة ثقيلة بحيث يعسر على الإنسان أخذها والعمل بها.

وأما إذا درست السيرة النبوية الشريفة – على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التحيات – وجدت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى أصحابه وأنصاره – رضي الله عنهم – بالتيسير والتبشير، ونهى عن التعسير والتنفير كما في الحديث عن أبي موسى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: "بشروا ولا تنفروا، ويسّروا ولا تعسروا" [1].

وكذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه إلى التيسير في السلوك والمعاملة أيضا كما أن القصة التالية خير دليل على ذلك.

---

[1] رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير.

جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعوا بوله، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: دعوه، فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبّه عليه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس أن أعرابيا بال في المسجد، فقام إليه بعض القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه لا تزرموه، قال: فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبه عليه". [1]

وكذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم أرشد أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم إلى التيسير في الأمور كلها، والرفق بالناس، ونهاهم عن التنفير والتعسير والتشديد والتهديد فقال: "فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين".

وكذلك نجد في الدين النبوي والشرع المحمدي أمر التيسير واضحا جليا كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم" [2] الحديث.

وكذلك إذا درسنا الهدي النبوي وجدنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما شرع التيمم لمن لا يجد الماء، وكذا المسح على الخف، وما شرع قصر الصلاة في السفر، والفطر للمسافرين، وفطر المرضع، والمسح على الخف للمقيم يوما وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام، والاكتفاء بالاستنجاء بالحجر عند عدم الماء، والصلاة قعودا لمن لا يقدر على القيام، والجمع بين الصلاتين، وما أخر صلاة العشاء إلى نصف الليل، وكذا ما أخر الوتر إلى آخر الليل قبل طلوع الفجر لمن يثق بالانتباه، وكذا ما أخّر غسل الجنابة إلى الفجر لمن يشاء، وكذا ما أباح الطواف للجنب على نسائه بغسل واحد، وما شرع الصلوات المفروضات والنوافل بوضوء واحد، والتيمم للجنب والمحدث إذا خاف أن يقتله الماء، وإطعام مسكين كل يوم مدين من طعام للشيخ الكبير العاجز عن الصيام، وما أباح للمحرم أن يحلق شعره إذا كان به مرض يقتضي حلق الرأس، أو كان به أذى من

---

[1] كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد الخ.

[2] باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه الخ.

الهوام التي تتكون في الشعر حين يطول ولا يمشط، وهلم جرا إلا دفعا للحرج والمشقة، ورفعا للعنت، ولطفا ورفقا بالأمة، وتيسيرا عليها.

وكذلك نرى أن الشارع عليه الصلاة والسلام لما رأى الحرج والمشقة في أمر السواك عند كل صلاة لم يأمر بذلك أمته دفعا للحرج والضرر، ورفقا بأمته كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" [1].

وكذلك نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، ولم يبين مخارج الحروف التي يتوقف عليها صحة قراءة الفاتحة، وتشديداتها وحركاتها وسكناتها، وبين أن استقبال القبلة شرط في الصلاة، ولم يبين قانونا نعرف به استقبالها، وبين أن نصاب الزكاة مائة درهم ولم يبين أن الدرهم ما وزنه، ولم يكلف أمته في معرفة استقبال القبلة وأوقات الصلاة والأعياد وحفظ مسائل الهيئة والهندسة، وأشار بقوله: "القبلة ما بين المشرق والمغرب". إذا استقبل الكعبة إلى وجه المسألة، وقال: "الحج يوم تحجون، والفطر يوم تفطرون".

إنما راعى الشارع عليه الصلاة والسلام في كل ذلك جانب دفع الحرج والمشقة كيلا تقع أمته في الحرج والضرر في أداء العبادات والطاعات وفي امتثال الأوامر.

وكذلك سن الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة في الرحال في اليوم المطير كما في صحيح مسلم عن نافع أن ابن عمر أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح فقال: "ألا صلوا في الرحال" ثم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤذن إذا كانت ليلة باردة ذات مطر يقول: ألا صلوا في الرحال" [2] .

ونجد كذلك الرسول أنه صلى بالناس في المسجد في رمضان ثلاث ليال، فلما رأى كثرة أهل المسجد في صلاة التراويح، ورأى أنهم يعجزون عن ذلك لم يخرج إليهم

---

[1] كتاب الطهارة، باب السواك.

[2] باب الصلاة في الرحال في المطر.

خشية أن تفرض عليهم صلاة التراويح جماعة في المسجد كما في صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد ذات ليلة، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن يفرض عليكم. قال: وذلك في رمضان. [١]

ترى في هذا التوجيه النبوي الكريم ما يرشدك إلى ما في الدين الإسلامي الحنيف من التوجيهات السامية الميسرة للعمل بها، كما ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد بذلك الشفقة على أتباعه، واللطف والرفق بهم حتى لا يقعوا في الحرج والمشقة في أداء العبادات.

وترى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أباح كذلك تأخير قضاء رمضان إلى رمضان الآتي لمن أفطر بعذر كمرض، وسفر، وحيض ونحو ذلك تسهيلا وتيسيرا على الأمة، كما في صحيح مسلم عن أبي سلمة قال: سمعت عائشة تقول: كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو برسول الله صلى الله عليه وسلم". [٢]

كما أنه صلى الله عليه وسلم سن الفطر للحاج بعرفات يوم عرفة لئلا يضعف عن الأذكار والوظائف المشروعة يومئذ. ففي صحيح مسلم عن أم الفضل تقول: شك ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيام يوم عرفة، ونحن بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلت إليه بقعب فيه لبن وهو بعرفة فشربه [٣]، تيسيرا على الأمة.

---

[١] باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

[٢] باب جواز تأخير قضاء رمضان الخ.

[٣] باب استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفة.

وكذلك أباح الرسول صلى الله عليه وسلم التنفل في السفر لمن شاء أن يترك دفعا للحرج وتيسيرا على الأمة. فقد ثبت عن الشارع – عليه الصلاة والسلام – فعلا أنه لم يزد في السفر على ركعتين، كما ثبت في صحيح مسلم عن حفص ابن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: صحبت ابن عمر في طريق مكة، قال فصلى لنا الظهر ركعتين ثم أقبل وأقبلنا معه حتى جاء رحله، وجلس وجلسنا معه، فحانت منه التفاتة نحو حيث صلى، فرأى ناسا قياما فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قلت: يسبحون، قال: لو كنت مسبحا أتممت صلاتي، يا ابن أخي! إني صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله [1] الحديث.

أخي في الله – رحمك الله – اعلم أن السنة في أعمال الحج يوم النحر بعد الدفع من مزدلفة أربعة أعمال: رمي الجمرة، ثم نحر الهدي، ثم الحلق، ثم طواف الإفاضة. والسنة في هذه الأعمال الأربعة أن تكون مرتبة، فإن خالف ترتيبها فقدم مؤخرا، أو أخر مقدما جاز، كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاء رجل فقال يا رسول الله! لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر فقال: اذبح ولا حرج، ثم جاءه رجل آخر فقال يا رسول الله! لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي فقال: ارم ولا حرج، قال: فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قُدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج". [2]

فبان لك من هذا التوجيه النبوي الكريم السالف ذكره ومن أمثاله من التوجيهات السامية المتقدمة واضحا جليا أن الشرع المحمدي والدين النبوي يرشد المرء دائما إلى اختيار المنهاج الأيسر والطريق الأسهل في العبادات والأعمال والطاعات كلها، كما يرشد إلى ترك الأعمال والطاعات التي فيها حرج ومشقة وعنت يعسر على المرء أداؤها وامتثالها.

---

[1] كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

[2] كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق الخ.

وجاءت الرسالة المحمدية لترفع الحرج والعنت عن الإنسان في أداء العبادات ولذا إنها ترشد دائما إلى التيسير في الأعمال كلها، فقد ثبت في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر أنه قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله حافية، فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فقال: لتمش ولتركب". [١]

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخا يهادى بين ابنيه فقال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي، قال: إن الله تعالى عن تعذيب هذا نفسه لغني، وأمره أن يركب. [٢]

أخي في الله – رحمك الله – اعلم أن من التيسير أن وضع الإسلام عن الناس الآصار والأغلال التي كانت عليهم، وإلى ذلك أشار الرب تعالى بقوله: {ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} (سورة الأعراف:١٥٧) الآية.

أي أنه – محمد صلى الله عليه وسلم – جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بعثت بالحنيفية السمحة". [٣]

ومن التيسير أيضا أن جعل الله الأرض كلها طهورا ومسجدا كما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة وطهورا ومسجدا" [٤] الحديث.

---

[١] ٢ / ٤٥، كتاب النذر.

[٢] رواه مسلم ٢ / ٤٥، كتاب النذر.

[٣] انظر تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٣٩ لابن كثير.

[٤] ١ / ١٩٩، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

وإن اليسر والرفق من طبيعة الدين النبوي، واللين والسماحة من الخلق المحمدي. ولذلك ترى في جميع شرائع وأوامر دينه، وتعليمات شرعه جانب التيسير والسماحة واضحا جليا كما ترى ذلك جليا في خلق النبي صلى الله عليه وسلم وسلوكه، وسيرته، ومعاملته، ومعاشرته ومخالطته بالناس كما يتضح لك ذلك واضحا من القصة التالية: فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – يقول: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: "ثمامة بن أثال" سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد، فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فاذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم" [1].

---

[1] كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه الخ.

وبهذا تبين بجلاء ووضوح تام أن الرسالة المحمدية طبيعتها الرفق واللين، وخلقها اليسر والسماحة، كما اتضح جليا أن الناس دخلوا في دين الإسلام الحنيف متأثرين بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم الكريمة النظيفة وشمائله الجميلة، ومعاملته الطيبة، وسلوكه الحسن لا أنهم أكرهوا على الدخول في هذا الدين، وما أكره أحد على ترك عقيدته ودينه قط، لا تجد في التاريخ الإسلامي كله نظيرا ومثيلا لذلك. هذا، وكذلك تجد أمثلة كثيرة في التاريخ الإسلامي في أن عددا كثيرا من الناس من غير المسلمين دخلوا في دين الإسلام – دين اليسر والسماحة والفطرة – متأثرين بمحاسن الدين الحنيف الجذابة، وميزاته الساحرة، وخصائصه الباهرة، ومتأثرين بالأخلاق النبوية الفاضلة والشمائل المحمدية المحمودة الكريمة.

ولا يظن أحد أن الدين الإسلامي الحنيف نشر بالقوة والعنف، وفرض السيف في نشره، كما يقول ذلك بعض أعداء الدين بل الإنسانية، ظانين بأن الإسلام قد فرض السيف في نشره، وأن محمدا استخدم القوة والعنف، وحمل السيف في نشر دينه، وقد رفض القرآن هذا الاعتقاد الفاسد والظن الخاطئ بقوله: {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} (سورة البقرة: ٢٥٦) الآية، رفضا باتا.

فقد عرفت – أخي القارئ الكريم – جيدا مما تقدم من نصوص الكتاب والسنة أن الإسلام دين اليسر والسماحة، يسر الله تعالى شرائع وأوامر دينه، وهداياته وتعليماته للإنسان للعمل بها، واتباعها، ولم يجعل مأموراته ومحظوراته، وشرائعه وقوانينه وتنظيماته ثقيلة شاقة بحيث يعسر على أتباعه أخذها وامتثالها كديانات أخرى حملت على أتباعها ما يشق عليهم أداؤه وامتثاله.

❖❖❖

التوجيه الإسلامي

الكنز المنسيّ

مع نماذج من كنوز الصحابة رضي الله عنهم

(٢-٢) سليمان بن جاسر بن عبد الكريم الجاسر

أنواع الوقف

ينقسم الوقف باعتبار الموقوف عليهم إلى ثلاثة أنواع:

أولا: الوقف الأهلي "الذري":

ويكون على الأقارب والذرية، ففي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه"، فإذا كانت صلة الرحم المنقطعة سبب لزيادة العمر والرزق، فكيف بالوقف المستمر!

ومن فوائد وآثار الوقف الذري:

١ – السعة في الرزق والبركة في العمر بنص الحديث السابق.

٢ – توثيق المحبة والصلة بين الأقارب، ودعم الاستقرار الأسري، وأخلاقيات التضامن بينهم.

٣ – ترك الأقارب أغنياء لا يحتاجون للناس.

٤ – إعانتهم على التفرغ لنفع المجتمع، وبذل المساعدة له في شتى الميادين.

ثانيا: الوقف الخيري:

وهوكل وقف على جهة بر غير الأقارب والذرية، ويعكس آثارا إيجابية على المجتمع منها:

١ – إزالة البغضاء والتحاسد بين شرائح المجتمع.

٢ – تدوير المال للصالح العام.

٣ – تقديم الدعم والاستقلال للمؤسسات الخيرية.

ثالثا: الوقف المشترك:

وهو ما يجمع بين الوقف الخيري والوقف الأهلي، وذلك بأن يجعل الواقف جزءا من منافع الوقف لذريته وأقاربه، والجزء الآخر لوجوه البر والإحسان.

خطوات إجرائية لتوثيق الوقف

الجهة المختصة بتوثيق الوقف هي المحكمة العامة "الإنهاءات" ويمكن توثيقه دون مراجعتها، بأن يقوم الواقف بكتابة وثيقة الوقف ويشهد عليها شاهدين، لكن الأفضل أن يكون التوثيق بالمحكمة لضمان استمراره ومنفعته، وليكون أقطع للنزاع والخصومات.

المطلوب عند توثيق الوقف:

١ – حضور الواقف، ومعه بطاقة إثبات الشخصية (بطاقة الأحوال، ودفتر العائلة للمرأة مع معرفين اثنين لها).

٢ – إحضار صك العين المراد إيقافها.

٣ – مراجعة القاضي لتوثيق الوقف.

٤ –حضور شاهدَين مع بطاقة إثبات شخصيتيهما.

٥ – بيان مصارف الوقف، والناظر عليه، وتحديد أجرته، وطريقة اختيار الناظر من بعده.

نماذج من أوقاف الصحابة رضي الله عنهم

كان الصحابة رضي الله عنهم أسرع الناس إلى الخيرات، تركوا الأوطان والأموال والأهل والخلان، من أجل هذا الدين، لم يبخلوا بأنفسهم وأموالهم، بل نصروا الدين بالنفس والنفيس.

والجبن والبخل صنوان، فالأول بخل بالنفس، والثاني بخل بالمال، وقد استعاذ منهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال" [1]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولهذا جاء الكتاب والسنة بذم البخل والجبن، ومدح الشجاعة

---

[1] رواه البخاري (٥٤٢٥) عن أنس رضي الله عنه.

والسماحة في سبيله دون ما ليس في سبيله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع" [١]، وقال صلى الله عليه وسلم: "من سيدكم يا بني سلمة؟" فقالوا: جُدُّ بن قيس، على أنا نبخله. قال: وأي داء أدوى من البخل!" [٢]، فجعل البخل من أعظم الأمراض . ا.هـ [٣].

وقد ذكر أصحاب السير والحديث وغيرهم أن كل من كان له مال من الصحابة رضي الله عنهم وقف وقفا، سواء كان وقفا ذريا، أم خيريا، ومنها [٤]:

١ – أوقاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

قال الخصاف: "رُوي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حبس رباعا له كانت بمكة وتركها، فلا يعلم أنها ورثت عنه، ولكن يسكنها من حضر من ولده وولد وولده ونسله بمكة، ولم يتوارثوها" [٥].

وقال البيهقي: "قال الحميدي: وتصدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه بداره بمكة على ولده، فهي إلى اليوم (زمن الحميدي)" [٦].

٢ – أوقاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

١ – قد تقدم وقفه رضي الله عنه ماله بخيبر.

٢ – قال البيهقي: "قال الحميدي: وتصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بربعه عند المروة وبالثنية على ولده، فهي إلى اليوم (زمن الحميدي)" [٧].

٣ – وقف عثمان بن عفان رضي الله عنه:

جاء في صحيح البخاري تعليقا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من يشتري بئر رومة، فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين"، فاشتراها عثمان رضي الله عنه [٨].

---

[١] رواه أبوداود (٢٥١١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٦٨).

[٢] رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٢٧).

[٣] مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٥٥، وما بعدها).

[٤] انظر: تاريخ المدينة لابن شبة (١ / ٢١٨، وما بعدها).

[٥] أحكام الأوقاف (ص: ٨).

[٦] السنن الكبرى: (١١٩٠٠).

[٧] السنن الكبرى: (١١٩٠٠).

[٨] صحيح البخاري (٣ / ١٠٩) باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم.

وفي رواية: "أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حفر رومة فله الجنة"؟ فحفرتها" [١].

٤ – أوقاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال البيهقي: "قال الحميدي: وتصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأرضه بينبع، فهي إلى اليوم (زمن الحميدي)" [٢].

وله عيون متفرقة كثيرة، وقفها رضي الله عنه على المساكين والمحتاجين، ذكرها ابن شبة في كتابه "تاريخ المدينة"، تركنا ذكرها هنا خشية الإطالة.

٥ – أوقاف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

قال البيهقي: "قال الحميدي: "وتصدق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بداره بالمدينة وبداره بمصر على ولده، فذلك إلى اليوم (زمن الحميدي)" [٣].

وروى الخصاف بسنده إلى عائشة بنت سعد رضي الله عنه قالت: "صدقة أبي حبس، لا تباع، ولا توهب، ولا تورث، وأن للمردودة من ولده أن تسكن غير مضرة ولا مضر بها حتى تستغني. فتكلم فيها بعض ورثته فجعلوها ميراثا، فاختصموا إلى مروان بن الحكم (أمير المدينة في عصره)، فجمع لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنفذها على ما صنع سعد رضي الله عنه [٤]، أي: وقفا".

٦ – أوقاف الزبير بن العوام رضي الله عنه:

قال البخاري: "وتصدق الزبير رضي الله عنه بدوره، وقال: للمردودة من بناته أن تسكن غير مضرة ولا مضر بها، فإن استغنت بزوج فليس لها حق". [٥]

وقال البيهقي: "قال الحميدي: وتصدق الزبير بن العوام رضي الله عنه بداره بمكة في الحرامية، وداره بمصر، وأمواله بالمدينة على ولده، فذلك إلى اليوم (زمن الحميدي)". [٦]

---

[١] البخاري (٢٧٧٨).

[٢] السنن الكبرى: (١١٩٠٠).

[٣] السنن الكبرى: (١١٩٠٠).

[٤] أحكام الأوقاف (ص ١٤).

[٥] صحيح البخاري (٤ / ١٣)، باب إذا وقف أرضا أو بئرا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين.

[٦] السنن الكبرى (١١٩٠٠).

٧ – وقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

وأوقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه داره، قال البخاري: "وجعل ابن عمر نصيبه من دار عمر سكنى لذوي الحاجة من آل عبد الله" [١].

٨ – وقف زيد بن ثابت رضي الله عنه:

وحبس زيد بن ثابت رضي الله عنه داره التي في البقيع، وداره التي عند المسجد. [٢]

٩ – أوقاف عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال البيهقي: "قال الحميدي: وتصدق عمرو بن العاص رضي الله عنه بالوهط (أرضه) من الطائف وداره بمكة على ولده، فذلك إلى اليوم (زمن الحميدي)" [٣].

١٠ – وقف خالد بن الوليد رضي الله عنه:

روى الخصاف بسنده أن خالد بن الوليد رضي الله عنه حبس داره بالمدينة لا تباع، ولا تورث [٤].

ووقفه المنقول مشهور، قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: "وأما خالد: فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله" [٥].

١١ – وقف حكيم بن حزام رضي الله عنه:

ذكر ابن شبة "أنه رضي الله عنه حبس داره لا تباع ولا توهب ولا تورث". [٦]

١٢ – وقف أنس بن مالك رضي الله عنه:

وأوقف أنس رضي الله عنه دارا له بالمدينة المنورة، قال البخاري: "أوقف أنس دارا، فكان إذا قدمها نزلها" [٧].

---

[١] صحيح البخاري (٤ / ١٣)، باب إذا وقف أرضا أو بئرا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين.

[٢] السنن الكبرى (١١٨٩٩).

[٣] السنن الكبرى (١١٩٠٠).

[٤] أحكام الأوقاف (ص: ١٤).

[٥] رواه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣).

[٦] تاريخ المدينة، لابن شبة (١ / ٢٣١).

[٧] صحيح البخاري (٤ / ١٣).

١٣ – وقف أبي هريرة رضي الله عنه:

وروى ابن شبة بسنده إلى نعيم بن عبد الله قال: شهدت أبا هريرة رضي الله عنه تصدق بداره حبيسا". [١]

١٤ – وقف عائشة رضي الله عنها:

روى الخصاف بسنده إلى هاشم بن أحمد: "أن عائشة رضي الله عنها اشترت دارا، وكتبت في شرائها: إني اشتريت دارا، وجعلتها لما اشتريتها له، فمنها مسكن لفلان ولعقبه ما بقي بعده إنسان، ومسكن لفلان (وليس فيه: ولعَقبه)، ثم يرد بعد ذلك إلى آل أبي بكر".

١٥ – وقف أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها:

روى الخصاف بسنده: "أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تصدقت بدارها صدقة حبس لا تباع ولا توهب ولا تورث" [٢].

١٦ – وقف أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم:

روى الخصاف بسنده عن موسى بن يعقوب عن عمته عن أبيها قال: "شهدت صدقة أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم صدقة حبسا لا تباع ولا توهب" [٣].

١٧ – وقف أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم:

روى الخصاف بسنده إلى عبد الله بن بشر: "قال: قرأت صدقة أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم التي بالغابة، أنها تصدقت على مواليها، وأعقابهم، وعلى أعقاب أعقابهم، حبسا لا تباع ولا توهب ولا تورث تخاصم من يورثها فانفذت". [٤]

١٨ – وقف صفية رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم:

روى الخصاف بسنده إلى منبت المزني قال: "شهدت صدقة صفية بنت حيي رضي الله عنها بدارها لبني عبدان صدقة حبسا لا تباع ولا تورث حتى يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها". [٥]

---

[١] تاريخ المدينة، لابن شبة (١ / ٢٥٥).

[٢] أحكام الأوقاف (ص: ١٣).

[٣] أحكام الأوقاف (ص: ١٤).

[٤] أحكام الأوقاف (ص: ١٤).

[٥] أحكام الأوقاف (ص: ١٤).

١٩ – وقف جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه:

روى الخصاف بسنده إلى سالم مولى ثابت عن عمرو بن عبد الله العبسي قال: دخلت على محمد بن جابر بن عبد الله في بيت له، فقلت: حائطك الذي في موضع كذا وكذا، قال: "ذلك حبس عن أبي جابر، لا يباع ولا يوهب ولا يورث". [١]

٢٠ – وقف سعد بن عبادة رضي الله عنه:

روى الخصاف بسنده قال يحيى بن عبد العزيز عن أهله: "أن سعد بن عبادة رضي الله عنه تصدق بصدقة عن أمه فيها سقى الماء، ثم حبس عليها مالا من أمواله، على أصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث" [٢].

٢١ – وقف عقبة بن عامر رضي الله عنه:

روى الخصاف بسنده إلى أبي سعاد الجهني قال: "أشهدني عقبة بن عامر رضي الله عنه على دار تصدق بها، حبسا لا تباع ولا توهب ولا تورث، على ولده وولد ولده، فإذا انقرضوا إلى أقرب الناس مني، حتى يرث الله الأرض ومن عليها" [٣].

٢٢ – وقف أبي أروى الدوسي رضي الله عنه:

روى الخصاف بسنده إلى أبي مسورة قال: "شهدت أبا أروى الدوسي رضي الله عنه تصدق بأرض لا تباع ولا تورث أبدا" [٤].

وهذه الأسانيد وإن كانت لا تصفو من كدر، إلا أن شهرتها تغني عن صحة آحاد أسانيدها.

فهؤلاء هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم وأرضاهم، هم الأسوة، وإليهم يرجع مبتغي القدوة.

فيا عبد الله، أرعني سمعك، أهمس إليك كليمات مختصرات:

- قدم لنفسك وقفا قل أو كثر، لتصف في مصاف أولئك الصالحين الأبرار، الذين ما كان منهم أحد ذو مقدرة إلا وقف.

---

[١] أحكام الأوقاف (ص: ١٥).

[٢] أحكام الأوقاف (ص: ١٥).

[٣] أحكام الأوقاف (ص: ١٥).

[٤] أحكام الأوقاف (ص: ١٤).

- لا تسوف، فالموت أسرع، ورب مسوف اختطفته المنايا قبل إنفاذ ما أراد.

هل تريد: البرهان على صدق الإيمان، وإطفاء غضب الرحمن، والشفاء من عصي الأسقام، والوقاية من مصارع السوء، والميتات المشينة؟

هل تريد الاستظلال في الظل يوم العرض، يوم يبلغ العرق من الناس مبلغا عظيما؟

هل تريد الخير بحذافيره، والأجور العظيمة؟

كل ذلك تجده إن صدقت الله في الوقف، فشمر فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل.

والواجب على من شرح الله صدره للوقف الانتباه لما يأتي:

١ – إحضار النية الصادقة الصالحة، بأن يكون وقفه إيمانا واحتسابا، لا رياء ولا سمعة، فإنما الأعمال بالنيات، وفي الصحيح: "أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة ... وذكر منهم منفقا جوادا أنفق ليقال جواد فيسحب في النار على وجهه" [(١)]، فما أغنى عن المسكين كلمة "يقال وقد قيل"، فليحذر المؤمن من أن يكون حظه من نفقته ووقفه "فقد قيل"!

٢ – استشارة أولي العلم والخبرة، العلم بأحكام الأوقاف، والخبرة باستراتيجياته وشؤونه الواقعية، من القضاة والدعاة والعاملين في الجهات الخيرية ومراكز الاستشارات التي تعنى بأحكام الوقف، فإنهم لعلمهم وخبرتهم لابد وأن يضفوا على تصور مريد الوقف معلومات لا يدركها، وربنا جل وعلا يقول: {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} (النحل:٤٣)، وفي استشارة عمر وأبي طلحة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوضح ذلك ويؤكده. [(٢)]

٣ – أن يتخير لوقفه من أحسن ماله، وأنفسه عنده، فإن إخراج العبد من أحسن ماله دليل صدقه، وبرهان ثقته بمعاملة ربه الجواد، وقد جعل سبحانه وتعالى البر درجة لا تنال إلا بالإنفاق من المحبوب، الذي تتعلق النفوس به، وتتشوف إليه فقال تعالى: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} (آل عمران: ٩٢)، فقطع الطريق على مدعي البر

[(١)] رواه مسلم (١٩٠٥).

[(٢)] انظر: فتح ذي الجلال والإكرام لابن عثيمين (١٠ / ٣١٠).

حتى يبرهن على صدقه بإنفاقه من المحبوب، فإن فعل ذلك فهو صادق حقا، نال البر وصار من أهله وذويه.

فيا أيها الواقف ويا أيها المنفق! دونك باب البر فلجه، وأمامك حوض الأجر فرده.

٤ – أن ينظر إلى حاجة الناس إلى وقفه، ويتلمس ما هم له أحوج، وله أشوف، فيبادر به: فإذا رأى انتفاع الناس وحاجتهم إلى مسجد أكثر من غيره سارع به، وإن رأى كثرة المساجد وحاجة الناس إلى ماء سعى في حفر بئر وبادر إلى ذلك، وهكذا في غيرهما.

وليهتم بالوقف على أهل العلم وطلبته الذين تفرغوا لتفقيه الأمة ورفع الجهل عنها، فإن حاجة الأمم إليهم توازي حاجتها إلى الطعام والشراب بل حاجتها إلى الهواء.

فليكن فقيه النفس، ثاقب النظرة، واسع المدارك، فربما وقف الرجل وقفا حسنا وكان غيره أولى، إما من جهة الزمان أو المكان أو الأعيان، ولما أعتقت ميمونة أم المؤمنين وليدتها وأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: "أما أنكِ لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك". [1]

فجعل الصدقة بها على الأقارب أعظم أجرا من العتق المطلق، مع ما جاء في العتق من الأجور العظيمة، والثواب الجزيل، وذلك أن المفضول لا يكون مفضولا دائما، ولا الفاضل كذلك، بل قد يعرض للمفضول من العوارض الزمانية أو المكانية أو غيرها ما يجعله فاضلا. [2]

وفي الختام

أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في هذه المقالة، فما كان فيها من صواب فمن الله عز وجل وحده، وما كان فيها من خطأ أو سهو فمن نفسي والشيطان، والله عز وجل بريء منه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

كما أسأله سبحانه أن يأخذ بأيدينا جميعا إلى مراضيه، وأن يجنبنا مساخطه ومناهيه!

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❖❖❖

---

[1] البخاري (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩) عن ميمونة رضي الله عنها.

[2] الوقف العقاري، للمؤلف (ص: ٧ – ١٠).

الأديان والفرق

تأثر صوفية الهند بالأفكار الهندوسية

سعيد الرحمن بن محمد حسين السلفي
قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة العالية بكلكتا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى في الذكر الحكيم: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} (يوسف: ١٠٦) وقال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} وقال تعالى: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق} (الحج: ٣١) وقال تعالى: {ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون} (الحديد: ٢٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (رواه البخاري ومسلم). وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" (رواه مسلم).

قد كانت الأمة المسلمة ابتليت بثلاث فتن في أواخر عهد التابعين، وهي: التصوف والرأي وعلم الكلام. وأصحاب هذه الاتجاهات لم يكتفوا بما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله من الهداية والرشد للحياة الفردية والاجتماعية. وأصحاب التصوف أيضا لم يكتفوا بالزهد الشرعي بل اتخذوا عيسى بن مريم وأتباعه قدوة لهم وأخذوا منهم لباس الصوف ظاهرا وروح الرهبانية باطنا، وجرى التصوف بعد ذلك مجاري مختلفة وقطع أشواطا بعيدة ونهل من المناهل المختلفة من الفلسفة اليونانية والبوذية والهندوسية المتمثلة في تعاليم الأوبانيشدا والفيدا الأربعة والممارسات اليوغية ورسائل إخوان الصفا والزراتشتية الفارسية وغيرها.

ثم ازداد الطين بلة وأصبح التصوف دينا داخل دين، وأصبحت له اصطلاحات وقواعد وأصول. ولذلك كان موضوع التصوف ذا اهتمام وعناية منذ البداية، وكذلك كان له قبول لدى الناس ومخالفة عند آخرين. وفي العصر الراهن لفت هذا الموضوع أنظار أهل السنة والجماعة إلى أخطار التصوف وتحدياته للعقيدة الاسلامية النقية ونتائجه السيئة على الفرد والمجتمع والدولة. لأن أعداء الاسلام يؤيدون التصوف بالعدة والعتاد ويدعمون أصحابه ماديا ومعنويا.

اليوم تعقد ندوات دولية وتخصص مشاريع عديدة ويشترى أهل القلم لمحاربة الدين الخالص من أدران الشرك والبدع والخرافات بحجة أن التصوف هو الدين الملائم لحاجات الفرد والمجتمع، وأن الدين الذي ينكر التصوف خطر للعالم. وكذلك نرى اليوم في بعض الصحف الإنجليزية الهندية مقالات عن التصوف وبيان مزاياه وضرورة نشره، وأصحاب هذه المقالات يقسمون الإسلام إلى تيارات عديدة منها تياران أساسيان: التيار الصوفي والتيار السلفي أو الوهابي. ويحذرون الناس عن التيار السلفي الذي هو عين الاسلام. حاشا لله، كيف تغيرت المعايير والمقاييس، وكيف أصبح الجنون عقلا والعقل جنونا؟

وبلادنا الهند تعج بالصوفية والخانقاهات والمزارات والطرق المتشعبة منذ عصور، وقد أصبحت تلك المزارات أماكن الشرك الجلي والبدع اللامتناهية. كثر الفقراء والدراويش الدجالون والكذابون في المدن والقرى، وأصبح التسول مهنة ميسورة، وانتشرت البطالة والكدية والشعوذة والمكر والدهاء.

وصل التصوف إلى الهند من إيران ومن بلاد آسيا الوسطى عندما توطدت حكومة المسلمين بدلهي، فوزع الصوفية المناطق المفتوحة باسم الولاية الأرضية بحيث يكون لكل ولي منطقة خاصة تحت ولايته. وبانتشار الطرق الصوفية حصل هناك تبادل فكري وديني بين الصوفية ورجال الدين الهندوسيين، فتأثر المتصوفة بالعادات والتقاليد والمعتقدات الهندوسية، وكذلك أثروا في المواطنين المحليين. ونتيجة لاحتكاك بعضهم لبعض والتبادل الفكري والثقافي عن طريق الترجمة من اللغة السنكسكريتية إلى الفارسية والعربية أصبح التصوف خليطا من عقائد البوذية والفيدانتا وغيرها.

اليوم أصبح الإسلام لعبة بأيدي الصوفية، إنهم أحدثوا بدعيات وشركيات لا تعد ولا تحصى. فمن بدعياتهم الظاهرة على سبيل المثال:

(١) شد الرحال لزيارة القبور بحيث يأتي الزوار من باكستان وبنغلاديش وولايات الهند إلى أجمير ودلهي وسرهند وأترابراديش حيث توجد أضرحة الصوفية بكثرة. يأتون إليها رجاء الشفاء أو طلبا للأولاد والمنافع الأخرى أو لدفع المضار.

(٢) تقديم أكاليل الزهور والأقمشة على قبور الأموات وتقبيلها حبا واحتراما.

(٣) كثرة الأناشيد الصوفية (القوالي باللغة المحلية) المليئة بالكفر والشرك والتوسل البدعي.

(٤) تصور الشيخ عند الذكر والصلاة والمراقبة والدعاء بوسيلة الولي.

(٥) السجود للقبور والصوفية المرشدين.

(٦) تجارة التمائم والتعاويذ وكتابتها واستعمال كلام الجن والشياطين فيها.

(٧) ربط الخيوط الملونة بالأيدي باسم الولي باعتقاد أن الولي ينجيه في المصائب والشدائد.

(٨) إرتداء ملابس الإحرام باسم الولي، مثلا يلبس بعض مريدي الصوفي وارث علي شاه ثوبين زعفراني اللون غير مخيطين باسم الولي المذكور.

(٩) اتخاذ اللباس الزعفراني اللون الذي هو لباس الكهنة الهندوسيين.

(١٠) إطالة شعر الرأس والشوارب.

(١١) فتح مراكز العلاج الروحاني واستغلال النساء الغافلات جنسيا.

(١٢) وضع كتب في كرامات الأولياء زورا وبهتانا. كثير منها يخالف صريح الكتاب والسنة وصريح العقل، مثل كون الولي عالما بالأمور الغيبية وقادرا على إحياء الموتى وإنقاذ السفينة الغارقة وراكبيها، وكون الولي موجودا في أكثر من خمسين مكانا في وقت واحد، وتبديل أحوال القلب بمحض النظر إليه وجمع عظام الديك المأكول وإحيائه بالنفخ عليه بعد أن تم أكله، وغيرها من الخرافات.

(١٣)كثرة الزهد البدعي بحيث وضعت أنواع من الصلوات البدعية مثل صلاة خضر والصلاة المعكوسة والجلة المعكوسة والاعتكاف عند القبر أربعين يوما واختراع كلمات الصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقراءة الفاتحة والتعوذات أكثر من ألف مرة ثم إهداء ثوابها للموتى، وغيرها.

وأما الشركيات الاعتقادية في الأولياء والأوتاد والأغواث والأبدال والأقطاب فتحتاج إلى مجلدات. فهذه الشركيات والبدعيات ليست بوليدة سنة أو سنوات، بل هي امتداد للقرون السابقة.كلما تركت السنن نشأت البدع ولعب الشيطان بعقول الجهلاء المدعين للولاية والعرفان، وأفسد عليهم دينهم وما كانوا يشعرون.

مجالات التبادل الفكري بين المتصوفة والكهنة الهندوس:

لما وصل الصوفية إلى الهند وجعلت طرقهم وسلاسلهم تنتشر كانت هناك مسابقة ومنافسة في إدخال الناس في طريقة خاصة أو سلسلة خاصة، وكانت من أنجح الطرق الصوفية هي التي راعت العادات والتقاليد المحلية وأوجدت بينها وبين المواطنين أوجه الشبه، وقد أشار إلى هذه النقطة السيد خليق أحمد النظامي حيث قال: "إن نجاح السلسلة الجشتية في الهند وشعبيتها كان مبنيا على فهم الأوضاع الهندية والاتجاهات الدينية وطموحات أهلها. إنهم اختاروا كثيرا من العادات والتقاليد الهندوسية في بداية إقامة سلسلتهم مثل السجود للشيخ وتقديم المياه للزائرين وتقسيم الزميل (وهو الاناء المصنوع من الدباء المجفف) وحلق الرؤوس للداخلين الجدد حلقة صوفية جديدة والسماع (سماع الأناشيد الصوفية بآلات الموسيقي) والجلة المعكوسة، وكانت لهذه الأمور علاقة بين العادات الهندوسية والبوذية". [١]

وكان الصوفية في مواجهة الجوكيين الهندوسيين الذين كانوا يريدون الحوار وتبادل الآراء في الأمور الدينية لما كان يعتنق كثير من الهندوس الإسلام فكانوا قلقين ويحاولون في إحياء الديانة الهندوسية لإضعاف المد الإسلامي. والمتصوفة يريدون فتح قلوب المواطنين والتودد اليهم . وكثير من المسلمين الجدد لم يستطيعوا التحرر من ماضيهم

---

(١) Nizami, Khaliq Ahmed: Some Aspects of Religion & Politics in India, (During the ١٣th Century) Aligarh Muslim University, Aligarh, ١٩٦١, p.١٧٨.

الهندوسي وساروا على مسلك حياتهم القديمة واتبعوا ثقافتهم القديمة بالإضافة إلى عقائد الإسلام الجديدة التي كانت معظمها أجنبية لهم، وهكذا ظهرت ديانة مخلوطة من تعامل المسلمين مع الهندوس في حياتهم المستمرة في أنحاء الهند وبصفة خاصة بالبنغال التي كانت بها أكثرية المسلمين. وفي القرن الثالث عشر أحس الهندوس والمسلمون جميعا إلى مذهب يربط كلا الطرفين ويمكن التعايش السلمي كالجيران المسالمين جنبا إلى جنب. فمن هذا المنطلق بدأ احتكاك بعضهم ببعض في الأمور الدينية والاجتماعية. وبدأت ترجمة الكتب الهندوسية إلى اللغة الفارسية ثم العربية.

السلطان حسين شاه (١٤٩٣- ١٥١٩) قام برعاية وترويج الأدب الفيشنوي - الأدب المؤسس على عبادة وتمجيد الإله فشنو (Vishnu) لدى الهندوس - وكذلك ترجمت راماينا ومهابهارت من اللغة السنسكريتية إلى اللغة البنغالية برعايته وتشجيعه تقربا إلى المواطنين المحليين في البنغال. وقد كتب الشاه نور الرحمن عن علاقة الهندوس مع المسلمين في البنغال في العهد المغولي بأن ظهرت هناك عبادة مشايخ الصوفية وأن الهندوس والمسلمين كانوا يعبدونهم جميعا أمثال ستيابير (SatyaPir) ومانك بير (ManikPir) وكالوغازي (KaluGazi) وبرا خان غازي (Bara Khan Ghazi) وغيرهم.[٢] وفي العصور الوسطى في البنغال كان المسلمون يعبدون "مانسا" (Manasa) أي آلهة الحيات مخافة لدغها. وحتى يومنا هذا يدعو الملاحون المسلمون صائدو الأسماك في دلتا سندربن (Sunderban) البابا خواجا خضر وبن بيوي (صاحبة الغابة) ويستغيثون بهما قبل الدخول في الغابة أو النزول في مياه الأنهار الملتوية في تلك الغابة. وكتب المؤلف في نفس الكتاب أن الفقراء المسلمين في القرن التاسع عشر تقسموا إلى جماعات وطوائف كثيرة وأخذوا كثيرا من العادات والطقوس الدينية من الهندوسية. ومن تلك الطوائف المشهورة طائفة أرجون شاهي (ArjunShai) وبينواز (Benawaz) والجلالية (Jalali) والمدارية (Madari) وأما طائفة السهاجية فإن فقراءها يلبسون ملابس المرأة ويغنون ويرقصون أمام مرشديهم.

وفي عصر الملك المغولي جلال الدين أكبربدأت حملة إحياء الديانة الهندوسية وترجم أكثر من خمسة وأربعين كتابا من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الفارسية وكلها في

---

(٢) NururRahman Md. Shah: Hindu Muslim Relations in Mughal Bengal, Progressive Publishers, ٣٧A College Street, Kolkata ٧٣ p.٥٤.

الديانة الهندوسية من رامايانا ومهابهارتا وكتب اليوجا. فانتقلت الأفكار الهندوسية اليوغية إلى الأوساط الصوفية بكثرة حتى جعل الإيمان والكفر كليهما سبيلين إلى الحق. ونظرا إلى تأثير الجوكيين واحتفاء الملوك بهم اتخذ الشيخ أحمد السرهندي موقفا عدائيا شديدا ضدهم ولم يتخذ معظم صوفية ذلك الوقت موقفا معاندا مثله بل فعلوا عكس ذلك، وحرموا ذبح البقرة وحددوا لذلك تعزيرا توددا إلى الهندوس. ومن نتائج التفاعل بين الهندوس والمسلمين في القرن الثالث عشر في البنغال قام القاضي ركن الدين سمرقندي (ت ١٢١٨م) بترجمة كتاب اسمه "أمرت كندا" في هثا يوجا (طرق الرياضات البدنية وترويض النفس على تحمل المشاق) إلى اللغة العربية وسماه بـ "حوض ماء الحياة" ووصل هذا الكتاب إلى معظم الأوساط الصوفية. [٣]

بعض نماذج التأثر بالأفكار الهندوسية:

يروى أن الشيخ نظام الدين الأولياء (١٢٣٨- ١٣٢٤م) تأثر بجوكي هندوسي وهو يتحدث عن اللطائف الموجودة في جسم الانسان وتقسيمها بين شيفا وشكتي أي عندما توقظ اللطائف يحصل الاتصال بين العالم السفلي والعالم العلوي. وعلاقة الصوفي عبدالقدوس كنكوهي (١٤٥٦- ١٥٣٧م) مع الجوكيين أيضا مشهورة وأنه كان ينشد الأناشيد الهندية التعبدية أمام مريديه، ويوجد في كتابه رشد نامه بالفارسية تلك الأشعار التعبدية الهندية، وقد نقل هذا الكتاب إلى اللغة الهندية باسم "الكه واني". [٤] ويشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أصول وهي عقيدة وحدة الوجود المؤسسة على تعاليم الفيدا والأوبانيشدا وسماع الموسيقي مع آلاته والصلاة المعكوسة، ومما لا شك فيه أن الصلاة المعكوسة ليست بصلاة إسلامية أبدا، بل أحدثها العقل البدعي المتأثر بطريقة التعبد الهندوسي، وإن الصوفي الشهير ميرزا مظهر جان جانان (١٦٩٩- ١٧٨١م) أيضا كان معجبا بطريقة حبس النفس وإطلاقها عند الجوكيين وهي الطريقة التي يقال لها براناياما (Pranayama).

وصوفية الطريقة الشطارية في الهند مزجت تعاليم اليوجا (نظام الرياضات البدنية والروحية لدى الهندوس) بالتعاليم الصوفية، واختارت من الأولى بعض الرياضات والأوراد

---

(٣) M.R. Tarafdar: HusainShahiBengal(١٤٩٤ - ١٥٣٨) Asiatic Society of Pakistan,Dacca,١٩٦٥. P.٢٢١.

(٤) Series ١٦, Indian History, Medieval India النسخة الالكترونية

وحبس النفس. والذي تولى كبر هذه الجريمة هو الصوفي الشطاري محمد غوث الكواليري المتوفى عام ١٥٦٢م. كان هذا الصوفي ترجم "أمرت كندا" المذكور آنفا إلى اللغة الفارسية وسماه بـ "بحر الحياة" وقد عرف بهذا الكتاب المولوي شاه فضل الله الشطاري في "المناقب الغوثية" كاتبا: ترجم (محمد غوث الكواليري) هذا الكتاب من اللغة السنسكريتية وهو في بيان طرق الأذكار والأشغال عند الجوكيين ولونه بلون التصوف ورتبه على طريقة الصوفية المحققين وهذا مفيد جدا لأهل الباطن." [٥] وألف محمد غوث الكواليري كتابا آخر باسم الجواهر الخمس الذي دمج فيه الأفكار والمعتقدات الهندوسية، وقد نقله الشيخ صبغة الله بهروتشي بمكة المكرمة إلى اللغة العربية، وقام بنشر الطريقة الشطارية في بعض الدول العربية، وله كتاب باسم "رسالة المعراج" فضل فيها نفسه على كثير من الأنبياء والرسل. ولذلك لما ورد الشيخ الكواليري مدينة آكره في عهد الملك جلال الدين أكبر حرض عليه الشيخ غدائي العلماء المرتبطين بالقصر الملكي، فسألوه عن معراجه المزعوم و تفضيله نفسه على الأنبياء والرسل فتضجر الشيخ محمد غوث الكواليري من سؤالهم وهرب إلى كواليار. [٦] وقد كان كفره الشيخ علي المتقي الكجراتي (ت٩٧٥هـ) صاحب كنز العمال لما رأى في كتبه وأفكاره من الكفر والزندقة. وكان ولوعه بالأغاني وآلات الطرب والموسيقي مشهورا جدا، ولذلك دعا إليه تانسين المغني الهندوكي الشهير ولازم صحبته.

الأمير دارا شكوه وتأثره بالأوبانيشدا والفيدا:

وكان من ضحايا حملة الترجمة من السنسكريتية إلى الفارسية وتأثير عقيدة وحدة الوجود الأمير دارا شكوه ابن الملك شاه جهان صاحب التاج محل والقلعة الحمراء بدلهي. إن هذا الأمير مع ولوعه الشديد بالتصوف والصوفية وأحوالهم كما يظهر من كتبه العديدة مثل سفينة الأولياء وسكينة الأولياء والشطحات كان على اتصال مع الجوكيين الكبار ورجال الدين الهندوسيين. كأن التصوف لم ير وغليله في مجال المعرفة الالهية. انه قام بترجمة خمسين فصلا من الأوبانيشدا إلى اللغة الفارسية ونشره باسم "السر الأكبر"

---

[٥] المولي شاه فضل الله شطاري: مناقب غوثية ص:٧٥ أبوالعلائي بريس آكره.

[٦] شيخ محمد اكرام:رود كوثر- اداره ثقافت اسلامية- ٢ كلب رود لاهور ٢٠٠٥ ص:٣٩

وكتب في المقدمة: إن مسألة التوحيد كانت عويصة لديه منذ زمان، ولذلك اضطر إلى دراسة العهد القديم والعهد الجديد والزبور وغيرها ولم يزل متعطشا في هذا المجال. فلما بدأ يدرس الأوبانيشدا وجد فيها ضالته المنشودة، وفهم معنى التوحيد فهما كاملا، وادعى أن الآية الكريمة: إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين. (الواقعة:٧٧-٧٩) تشير إلى الأوبانيشدا، يعني المراد من كتاب مكنون هو الأوبانيشدا لا اللوح المحفوظ. [٧] ويعتقد أن الأوبانيشدا هي التفسير الصحيح لعقيدة التوحيد. معاذ الله. هذا هو التصوف الذي يفعل الأفاعيل ويأتي بكل الأباطيل والمناكير، ويجعل صاحبه قادرا على أن يأخذ العلم من اللوح المحفوط مباشرة، وأن يحلل كل فرج حرمها الله، وأن يعلن نفسه كخاتم الأولياء. والتصوف يجعل الانسان لا يميز بين الخالق والمخلوق ويرى الكل شيئا واحدا.

نحن نعرف جيدا أي نوع من التوحيد تقدمه الأوبانيشدا؟ ألا إنه عقيدة الحلول والاتحاد وعقيدة همه أوست وهي العقيدة التي دعا إليها ابن عربي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم، والتي تعني أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق.

ومن المتأثرين بأساطير الديانة الهندوسية الشاعر الهندي الشهير ملك محمد جايسي (١٤٤٧- ١٥٤٢م) فإنه كان متبحرا في المثولوجية الهندوسية، وهو الذي نصح المسلمين بأن يتخذوا الشخصيات الدينية الهندوسية كالأنبياء والرسل. [٨]

ومنهم السلطان زين العابدين الكشميري (١٤٢٠- ١٤٧٢م) كان تولى نشر الكتب السنسكريتية إلى اللغة الفارسية والكشميرية، ورعاية لعواطف رعيته الهندوسية حرم ذبح البقرة في طول الكشمير وعرضها كما حرم على نفسه أكل لحم البقرة. [٩]

(يتبع)

❖❖❖

---

[٧] Dara Shikuh Muhammad: Majma' Ul Bahrain, Edited by M.Mahfuz-ul- Haq, p.١٣, Asiatic Socity of Bengal, Kolkata ١٦,٥th Edition March ٢٠١٥.

[٨] HasanWazir: The Study Of Qur'an by Non-Muslim Indian Scholars,p.١٥ - ١٦, Adam Publishers & Distriburers, New Delhi,٢٠٠٦.

[٩] المصدر السابق..

رحماء بينهم

أفعال الرجال مرآة لما في قلوبهم

بدر محمد باقر

فهم هذه النقطة يمكن أن يزيل كثيرا من الاحتدام الحاصل بيننا كمسلمين، وسنبدأ بمثال من الواقع يهدف إلى تبسيط ما يليه، فأعمل معي فكرك كي نصل إلى مبتغانا.

تخيل معي أن رجلا قد جاء إلى بيتك يزورك للمرة الأولى وكانت هذه الزيارة هي لقاؤك الأول به، وبعد أن قضى معك وقتا يسمح له بأخذ الانطباع المناسب عنك وعن صفاتك وخلقك، انتهى هذا اللقاء، وخرج هذا الشخص من عندك، وبعد هذا اللقاء بأيام بلغك عن هذا الرجل خبران:

الأول: ينص على أن هذا الرجل قد أبغضك ولم يتقبلك، بل قد رأى أنك رجل فظ سيء الخلق والطباع، بل وربما طعن في دينك.

الثاني: ينص على أن هذا الرجل قد أعجب بدماثة خلقك وطيب نفسك وحسن ضيافتك والتزامك بدينك.

فقطعا هناك خطأ في أحد الخبرين فكيف يمكنك أن تعرف مكمن الخلل؟ هناك طريقتان لا ثالث لهما [1]:

الأولى: أن تكون على معرفة بمن نقل إليك كلا الخبرين، فمن عرف فيهما بالوثاقة والصدق كان خبره هو الصحيح والآخر باطلا.

الثانية: أن تنظر في فعل هذا الرجل، فتعرف أي الخبرين أصدق، ففعله وتعامله معك هو المرجح لصدق أحد الخبرين، فلو رأيت أن الرجل انقطع عنك ويتهرب حين يراك ولا يتصل بك ولا يرد على اتصالاتك فهذا يدل على صدق الخبر الأول، ولو رأيت

---

[1] وهذا باستبعاد إمكانية السؤال المباشر، إذ هي قد تكون متعذرة أو عديمة الجدوى في حال كان الرجل منافقا مثلا.

هذا الرجل يكرر الزيارة لك ويكثر الاتصال بك ويدعوك لزيارته، ويفرح لدى رؤيتك فهذا يدل على صدق الخبر الثاني.

إلا في حال كان هذا الرجل خبيثا منافقا يظهر خلاف ما يبطن، فهو يذمك حال فراقه لك، ويظهر المودة حين لقائك.

ولو عرفنا أن هذا الرجل مشهود له بالالتزام والصدق والشجاعة من خير الناس، ولا يمكن أن يتخذ النفاق خلقا ووسيلة ليتقرب إليك عرفنا أن الخلل كان فيمن نقل لك الخبر فيكون هذا الناقل كاذبا يسعى للتفريق بينكما لحسد في نفسه أو ما شابهه.

ألست معي في ذلك؟

وبالتأكيد لن نجد مخالفا لنا، لأن ما سردناه هو مثال بسيط بعيد عن تعقيدات النفوس وما تشربته من أفكار وما يسيرها من هوى.

لماذا لا نعيد تطبيق المثال السابق بعد أن نضيف أسماء لشخصيات حقيقية ونعيد التفكير في حقيقة ما أشيع عن البغض والكراهية بينها.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لا يختلف فيه اثنان فهو صهر النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمه، وليث الإسلام وفارس الحروب، من أصدق الناس لهجة ومن أسلمهم منهجا.

إذا نظرنا إلى علاقة علي رضي الله عنه بباقي الصحابة رضوان الله تعالى عنهم سنجد كتب التاريخ أوردت لنا أخبارا كثيرة نصها أن عليا رضي الله عنه وأرضاه وباقي الصحابة كانوا بمثابة الروحين في جسد، ولم يكن بينهم إلا المودة والرحمة، وسنجد في كتب أخرى خلاف هذا حيث صورت لنا عليا مبغضا لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وصورتهم بأنهم يكرهونه ويريدون فراقه بل وربما قتله.

إذن وحسب المثال السابق ما السبل لمعرفة أي الخبرين أصدق؟

كما سبق وأسلفنا ليس أمامنا إلا طريقان لا ثالث لهما:

الأول: أن ننظر في نقلة هذه الأخبار إلينا فنعرف أيهم عرف بالصدق والوثاقة فيكون خبره هو الصحيح والخبر الآخر باطلا، وهذا الطريق لا يقدر على السير فيه إلا

العلماء وطلبة العلم، وذلك لأن النظر إلى رواة هذه الأخبار ومعرفة أحوالهم، يحتاج علما ومعرفة بكتب الرجال وكيفية الحكم على الرواة، والنظر في أقوال أهل العلم والترجيح بينها والتيقن من ثبوتها عنهم وتفاصيل كثيرة لا يقدر عامة الناس على التفرغ لتحصيلها.

الثاني: وهذا الطريق يشترك فيه العلماء وغيرهم، وهو النظر إلى فعل علي رضي الله عنه [1]، ومن خلال فعل هذا الصادق الشجاع يمكننا أن نرجح صحة أحد الخبرين، وسنحصر هذه النظرة بأفضل صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم فنعرف علاقة علي بهم كي نحدد أي الخبرين نقبل ونسأل الله تعالى الإنصاف:

❖ علي رضي الله عنه قد بايع الخلفاء الراشدين الذين سبقوه رضي الله عنهم، ولو سلمنا جدلا بقول من يشاغب ويحاول أن يلبس على الناس بأن عليا تأخر عن بيعة أبي بكر الصديق، فنقول هل بايع أم لم يبايع؟ العبرة بنهاية الأمر والأمور بخواتيمها، فهو قد بايع وسار مع الناس في ركب الصديق رضي الله عنه، ولو كان في هذا الأمر مخالفة لأمر الله ورسوله لما قبل به علي رضي الله عنه مهما طال به الزمن، ولو افترضنا أنه قد تأخر عن بيعة أبي بكر وأن هذا يعد دليلا على عدم رضاه عن بيعة الصديق، فنقول وماذا عن بيعة الفاروق عمر؟ وماذا عن بيعة ذي النورين؟ لا يختلف المسلمون أن عليا بايعهما ولم يتأخر عن هذه البيعة فهل يعتبر المشغبون هذا دليلا على رضاه عن بيعتهما أم يحاولون أن يوجدوا لهاتين البيعتين أعذارا فيخرجوا من مأزق قبول ورضى علي ببيعة الخلفاء رضي الله عنهم أجمعين، وأذكر أن أحد الإخوة ناقش رجلا يعترض على خلافة الصديق رضي الله عنه ويعتبر البيعة له غير شرعية إلا أن هذا الرجل لم يستطع أن ينفي مبايعة علي للصديق رضي الله عنهما وأقربها، ولكنه

---

[1] قد يستشكل علينا شخص ويقول: حتى النظر في أفعال علي رضي الله عنه يحتاج إلى علماء ليتأكدوا من صحة نسبة هذا الفعل له، وهذا يرد عليه بأن الأفعال التي ندعو إلى النظر فيها قد اتفق عليها المسلمون بجميع طوائفهم ومشاربهم، كمبايعته للخلفاء أو وزارته لهم ومعاونتهم في القضاء والمشورة، أو مصاهرته لهم، ولا يستطيع أحد جحدها، فكلها ثابتة ولا يمكن ردها فبالتالي يمكن لكل إنسان أن يُعمل عقله وينظر في دلالتها مع الاطمئنان التام لصحتها.

تمسك بأنها كانت بعد ستة أشهر من تولي الصديق رضي الله عنه للخلافة، فقال له أخونا: إذا علي رضي الله عنه قبل بها بعد ستة أشهر [١] وأنت لا زلت رافضا لها بعد ألف وأربع مائة عام؟ اقتد بعلي رضي الله عنه وارفضها ستة أشهر ثم تعال إلينا وادخل معنا في الرضى ببيعة الخلفاء ولتجتمع صفوفنا كما اجتمعوا رضي الله عنهم وكفاك إثارة للضغائن والفتن بسبب أمر جرى قبل أربعة عشر قرنا، بل أمر لم يحدث إلا في مخيلتك ولا أثر لخيالك على أرض الواقع.

❖ لم يكتف علي رضي الله عنه ببيعة الخلفاء الراشدين، بل قد صار وزيرا ومستشارا ناصحا وموجها لهم، بل ومحاميا ومدافعا وجنديا في حربهم لأعدائهم، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ولو كان علي قد بايع الخلفاء الراشدين دفعا للفتنة ولكي لا يحصل اقتتال بين المسلمين كما زعم البعض، لاكتفى بهذه البيعة ولاعتزل المشاركة في هذا الحكم، وقد رأينا ذلك من بعض الصحابة عندما اشتعلت نيران الفتنة بين المسلمين بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه، فقد اعتزل أغلب الصحابة هذه الفتنة ولم يشاركوا فيها بل لم يشارك فيها إلا عدد قليل منهم كما قال محمد بن سيرين رحمه الله: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف فما خف فيها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين" [٢]، وهذا فعل الصادق الشجاع الأبي فهو لا يداهن ولا يحابي ولا يُكره على فعل ما يخالف اعتقاده.

❖ لم تقتصر مشاركة علي رضي الله عنه للخلفاء الراشدين الذين سبقوه على ميادين الحكم والحرب، بل تعدى ذلك إلى ميدان الأسرة، فقد صاهر علي عمر وزوجه ابنته أم كلثوم، وتزوج هو أسماء بنت عميس أرملة الصديق بل وربى ابنه محمدا، ولو كان بين علي والصديق عداوة لما قبل أهل الصديق أن يكون محمد بن أبي بكر في رعاية علي، ولما أمنوه عليه ولما قبل علي رضي الله عنه بأن يأوي في بيته

---

[١] وهذا الكلام من أخينا على سبيل التنزل، فهو لم يناقشه في صحة دعواه، وإنما سلم له بها ليظهر له ضعف موقفه وقلة حيلته، وإلا فقد ثبت أن عليا قد بايع الصديق مع سائر إخوانه من الصحابة ولم يتأخر عن البيعة.

[٢] العلل ومعرفة الرجال (٣ / ١٨٢)، "وهذا الإسناد من أصح إسناد على وجه الأرض ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه ومراسيله من أصح المراسيل" منهاج السنة النبوية (٦ / ٢٣٧).

ابن عدوه، وهكذا استمرت المصاهرات في أبناء علي وأحفاده، ولا يمكن لأي إنسان إنكارها أو إخفاءها.

وكذلك الخلفاء الراشدون الثلاثة رضي الله عنهم كانوا يبادلون عليا رضي الله عنه المودة والحب، بل ويثقون به ثقة لا حدود لها، ونمثل على ذلك بما فيه أبلغ الدلالة على ما نقول:

❖ عمر رضي الله عنه ولى عليا رضي الله عنه على المدينة أكثر من مرة في سفراته المتعددة إبان خلافته، تخيل ذلك: الصحابة متوافرون رضي الله عنهم، وعمر ينتقي عليا من بينهم واليا على المدينة أكثر من مرة [1] ومنها مرة كانت في سفر عمر الشهير إلى القدس ليتسلم مفاتيحها [2]، فكيف يأمن عمر عليا على عاصمة الخلافة في غيابه إن كان بينهما عداء وبغض؟ فلماذا لا يقوم علي بانقلاب على عمر وقد أصبحت المدينة الآن تحت يده بكل ما فيها من عدة وعتاد؟ ثم ماذا لو قتل الخليفة في سفره إلى من ستؤول الأمور؟ طبعا ستؤول إلى واليه على المدينة، على الأقل حتى يتشاور المسلمون وينظروا في أمر الخلافة فسيبقى هو مسيرا متحكما في الأمر من بعد عمر، فما الذي يجبر عمر على هذا؟ إلا الحب والود والثقة المتبادلة بينهما رضي الله عنهما.

❖ وتأمل معي أيضا الموقف التالي: عمر رضي الله عنه على فراش الموت بعد أن طعنه الغادر أبو لؤلؤة المجوسي، يفكر في أمر المسلمين وفيمن يتصدى لكرسي الخلافة من بعده، فماذا فعل؟ اختار ستة من الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ووصفهم بأنهم ممن توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فهل يعقل أن يكون بين عمر وعلي خلاف وبغض بعد هذا؟

---

[1] قد أحصيت أنا أربع سفرات خلف فيهن عمر عليا رضي الله عنهما على المدينة، وقد تتبع الشيخ صفوت حجازي حفظه الله هذه السفرات فوجد أن عمر رضي الله عنه قد سافر أحد عشرة سفرة وجعل عليا رضي الله عنه خليفته على المدينة سبع مرات، خمس منها أسانيدها لا تقبل الشك، فتأمل وقد ذكر الشيخ ذلك في أثناء مشاركته في مؤتمر السابقون الأولون الذي أقيم في دولة الكويت.

[2] وقد ذُكر أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم هو من كان على مقدمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تلك الرحلة فما أعظم قدر آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لدى الفاروق. انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٦٥).

❖ وأخيرا علي رضي الله عنه يدافع ويحامي عن عثمان رضي الله عنه ويبقي فلذات كبده وأشرف أهل الأرض في زمنهم نسبا، حفيدي النبي صلى الله عليه وسلم حسنا وحسينا رضي الله عنهما حرسا وحماة لعثمان رضي الله عنه ويبادله عثمان رضي الله عنه هذا الحب بأن يعزم على الحسن والحسين رضي الله عنهما بالرجوع وتركه خوفا عليهما وحبا لهما ولأبيهما رضي الله عنهم أجمعين.

بعد ما سبق لا يبقى شك لدى عاقل أن عليا رضي الله عنه يحب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه، ولا يبقى لدى من يشغب إلا عذر واحد يتعلق به وهو أوهن من خيوط العنكبوت، وهو يمثل الغاية في الطعن والتنقص من علي رضي الله عنه، والعذر هو أن عليا أظهر خلاف ما يبطن وأنه كان يسر أمر كراهيته للشيخين ويتحدث بهذا لخاصته، ويظهر حبه ورضاه عنهما أمام الملأ. وأذكر أنه دار حوار بيني وبين أحد الأحبة بهذا الخصوص.

وكان الحوار يتناول فعل علي رضي الله عنه في زمن الخلفاء، وبعد أن احتججت عليه بما سبق وغيره من الأدلة على حب علي للصحابة رضي الله عنهم، تعلق بآخر أمل لديه، وهو دعوى أن عليا كان يتقي الصحابة، ويدفع بأسهم بالتظاهر برضاه عنهم وحبهم وودهم، فقلت له: علي رضي الله عنه عندي من أشجع الشجعان وأنه لا يقبل بالذل والهوان ولن يقر باطلا، ولن يكتم حقا، وعندك هو مداهن يظهر خلاف ما يبطن ويقر الباطل ويكتم الحق، فمن منا يمدح عليا ومن منا يذمه؟ ومن المحب له ومن المبغض؟

فقال لي بعد تفكير طويل: أنت من تحبه وأنت المادح له لست أنا.

فقلت: ومن منا المتبع لعلي رضي الله عنه والمقتدي به؟ أنا الذي أقر بخلافة الخلفاء وأرضى بها كما فعل علي رضي الله عنه، أم أنت الذي ترفضها؟

فقال: ولكنه أقر بها ظاهرا ورفضها باطنا.

قلت: ونحن مأمورون باتباع ظاهر المرء لا باطنه والسرائر أمرها إلى الله، فمن منا يتبع ظاهر علي رضي الله عنه؟

قال: أنت.

فقلت: يتبقى لك التعلق بباطن علي رضي الله عنه، فأقول كيف علمت ما في باطن علي؟

فأجاب: نُقل في بعض الكتب أن عليا رضي الله عنه كان يتظاهر بحب الصحابة رضي الله عنهم، وأنه كان يسر إلى خواصه ببغضهم وقد صحح هذا بعض العلماء. فقلت: وماذا عن خواص علي هل كان ظاهرهم بغض الصحابة أم حبهم؟ فقال: بل حبهم، فمنهم من كان واليا للخلفاء الثلاثة، فسلمان الفارسي رضي الله عنهم مثلا كان واليا لعمر على المدائن.

ومن الأصدق عندك علي وخواصه أم من وصفتهم بالعلماء؟

فقال: علي طبعا.

فقلت: وأنا أقول ذلك وأصدق عليا رضي الله عنه وأحبه وأعتقد شجاعته ونبله ولذلك أحب من أحبهم وأرضى بمن رضيهم كخلفاء فعاونهم وآزرهم، ولو كانوا على غير الحق فسأتعلق برقبته يوم القيامة وأقول له أنت من خدعتني بمداهنتك لهم – وحاشاه – ولو لم تداهنهم لما أحببتهم أنا، أما أنت يا مسكين فبرقبة من ستتعلق؟

فسكت قليلا ثم قال: برقبة من أفتى لي بأن عليا لا يحب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: فمن أسلم موقفا وأحق بالأمن منا؟

قال: أنت.

وانتهى الحوار بيننا على هذا، ثم علمت بعدها بأنه قرر مثلي أن يتبع عليا رضي الله عنه ويدافع عنه وينفي عنه المداهنة والنفاق ولله الحمد والمنة.

وأختم هذه النقطة بوصف الله تعالى للمهاجرين والأنصار: {وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم} (الأنفال: ٦٣).

فأثبت سبحانه المحبة بينهم وتأليف القلوب، وأنه هو من رزقهم هذه المحبة فهل يبقى لدى مسلم شك في هذه الألفة؟

❖❖❖

عبر ومواعظ

وجاء الشتاء

مصطفى دياب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

يقلب الله – تبارك وتعالى – الليل والنهار والشمس تجري بقدر، ويقلب الله فصول الزمان، وللمؤمن في كل الأحوال طاعات وعبادات ولله على عباده منن لا تحصى فإذا دخل الشتاء زادت حاجة الناس إلى التستر والدفء ودفع البرد {فليعبدوا رب هذا البيت} (قريش:٣)، الذي ألهم الناس وسائل الدفء والوقاية من البرد {وتنحتون الجبال بيوتا} (الأعراف: ٧٤)، ومن منن الله كذلك، {والله جعل لكم مما خلق ظلالا} (النحل: ٨١)، بيوتا وأشجارا وسقفا {وجعل لكم من الجبال أكنانا} (النحل: ٨١)، فأصبح أحدنا يسكن في المباني والأبراج التي تقي الإنسان الحر والبرد وقديما كانوا يستترون بالكهوف في الجبال.

{وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر} (النحل: ٨١)، ومن كرمه وجوده أن جعل لكم تلك الملابس والقمص التي تستر أبدانكم وتقيكم الحر والبرد {وسرابيل تقيكم بأسكم} (النحل: ٨١)، وقمصان واقية، ليس من الحر والبرد فحسب، بل من رماح العدو هذه المرة، وكل ذلك لنعقل ونشكر ونسلم لله {كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون} (النحل: ٨١).

والمسلم في الشتاء له شأن مع نفسه ومع غيره، فإذا نزل المطر كان الدعاء: "اللهم صيبا نافعا"، وإذا هبت الرياح سأل الله من خيرها، واستعاذ بالله من شرها، ويأتي الصيام (فالصوم في الشتاء الغنيمة الباردة) فيا غنيمة الصائمين القائمين، إن الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقام وقصر نهاره فصام.

فيا أيها الصائم شمّر، ويا أيها القائم قم وتفكر، قال ابن عباس: "ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه".

وفريق آخر – للأسف – سيطر عليه الكسل، وبال الشيطان في أذنه وكثير ماهم، فمع برد الشتاء تضيع صلاة الفجر، وتتأخر الصلوات بحجة برودة الماء: {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا}.

نعم الدفء ينجي من البرد، ولكن كما أن الدفء ينجي الرجل من برد الشتاء فكذلك العمل الصالح ينجي العبد يوم القيامة من الهلاك، فلا يرى شمسا محرقة ولا بردا مهلكا {لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا} (الإنسان: ١٣).

أيها القارئ الحبيب!

إن شدة البرد من نفس جهنم (زمهريرها) وشدة الحر من نفس جهنم (سمومها)، كيف لا؟ وقد حدثت الشكوى.

قال صلى الله عليه وسلم: "اشتكت النار إلى ربها، وقالت: أكل بعضي بعضا، فجعل لها نفسين: نفسا في الشتاء، ونفسا في الصيف، فأما نفسها في الشتاء فزمهرير، وأما نفسها في الصيف فسموم"، فأشد ما نجد من البرد هومجرد نفس من زمهرير جهنم، اللهم نجنا من حر جهنم وبردها.

أخي الحبيب!

ومع إقبال الشتاء يستعد الناس لدفع البرد بجمع الدثار والثياب والأغطية وكأنهم مهاجرون. نعم، إذا أقبل برد الشتاء، فهناك إنسان يتأثر بالبرد، ويحتاج إلى الثوب والغطاء، ولا يجد منها شيئا. فيا من تكاثرت وتزاحمت لديه الملابس والأغطية هل تذكر من يحتاج إلى الدفء؟ إلى الثوب والغطاء؟

أخي الحبيب! قف أمام ملابسك الشتوية وتدبر كم هي كثيرة؟! كم هي متكررة ومتنوعة؟! وغيرك وربما أقرب إخوانك إليك لا يجد شيئا.

ألا ترى أن من شكر نعمة الله عليك أن تتصدق ببعض ما منّ الله به عليك؟!

أخي الحبيب! ما رأيك في مشروع (كسوة بكسوة)، ففي الحديث "من كسا مسلما على عرى كساه الله – عز وجل – من خضر الجنة". يا ابن آدم، قال تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم استكسيتك فلم تكسني، قال: كيف أكسوك وأنت

رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلان بن فلان استكساك فما كسيته؟ أما علمت أنك لو كسيته وجدت ذلك عندي؟".

أخي الحبيب! كلنا ذاك العاري قال تعالى في الحديث القدسي:

"يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم"، فلا تبخل أخي الحبيب على إخوانك وأصدقائك وجيرانك فالكاسي لي ولك هو الله.

ماذا لو؟!

ماذا لو وقف كل واحد منا أمام مخزن ملابسه، واستبقى عنده ما يكفيه، ثم أخرج الباقي لأصدقائه وإخوانه على صورة هدية مغلفة معطرة؟!

ماذا لو؟! اشترى الوالد لولده القميص الشتوي، أو (السويتر الجلد) بدل القطعة قطعتين واحدة لولده وواحدة لصديق ولده الذي يراه محتاجا وكأنها هدية؟!

كنز الأموال

إن أموالنا وملابسنا الغالية ليست باقية، فإن أي قطعة قماش نمسح بها الأرض أو نزيل بها الأتربة والقاذورات، أو ندوسها بأقدامنا كانت في يوم ما ثوبا جديدا قيما.

قال عبد الله بن المبارك: مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه، يا راهب، إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر، كنز الرجال وكنز الأموال.

وصدق الرجل فإن كل الناس إلى القبور (كنز الرجال)، وكل الأموال إلى المزبلة ثوبك الجديد اليوم محله غدا في المزبلة.

فاحفظه عند ربك فلعلك تنال الأجر ما دام ثوبك على جسد صاحبك.

أخي الحبيب! بادر وانصح غيرك أن يصنع مثلك، قم واجمع لآخرتك من ثوبك ومالك قبل أن يبلى، وحافظ على الصلاة والصيام والقيام وإسباغ الوضوء على المكاره، ففي الربيع تتغير الأرض، والشتاء ربيع المؤمن فلتكن بداية التغيير مع الرياح الباردة.

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❖❖❖

الفقه والفتاوى

الفرق بين صلاة الرجل وصلاة المرأة

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله
تعريب وتعليق: الشيخ محمد أسلم المباركفوري
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس

السؤال: هل هناك فرق بين الرجل والمرأة في صفة الصلاة وهيئتها أم لا؟ بينوه مفصلا.

الجواب: إن فقهاء الحنفية[١] يذكرون في الصلاة وما يتعلق بها أكثر من خمس وعشرين فرقا بين الرجل والمرأة. ولكنهم يذكرون خاصة في أفعال الصلاة وهيئة أدائها وكيفيتها هذه الفروق التالية:

١ – لا تستحب للمرأة القراءة بالجهر في الصلوات الجهرية، بخلاف الرجل.

٢ – يرفع الرجل يده إلى الأذنين في ابتداء الصلاة (عند التكبيرة الأولى)، والنساء يرفعن إلى المنكبين [٢]. ويستدلون بهذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوائل بن حجر: "إذا صليت فاجعل يديك حذاء أذنيك، والمرأة تجعل حذاء ثدييها". أخرجه الطبراني في الكبير [٣].

هذا حديث ضعيف لا يعتبر به.

يقول صاحب "الجامع الأزهر" [٤] عن هذا الحديث: أخرجه الطبراني في الكبير عن وائل بن حجر عن طريق ميمونة بنت حجر بن عبد الجبار عن عمتها أم يحيى بنت عبد الجبار، ولم تعرفا، وبقية رجاله ثقات [٥] انتهى.

---

[١] انظر: الفتاوى السغدية (١ / ٧١ – ٧٢) وحاشية الطحطاوي (ص ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٧).

[٢] انظر: شرح الوقاية (١ / ١٣٤).

[٣] (٢٢ / ١٩ – ٢٠ (٢٨) وانظر: مجمع الزوائد (٢ / ١٠٣).

[٤] هو العلامة المناوي الشافعي، المتوفى سنة (١٠٣١ هـ).

[٥] الجامع الأزهر (١ / ٣٩) وضعفه أيضا العلامة عبد الحي اللكنوي في عمدة الرعاية (١ / ١٣٤)، واستغربه ابن الملقن في البدر المنير (٣ / ٤٦٣).

ولأن الحديث في حد الفرق في رفع اليدين ضعيف، لا يستدل به يقول العلامة الشوكاني: ولم يرو ما يدل على الفرق بين الرجل والمرأة في مقدار الرفع وروي عن الحنفية أن الرجل يرفع إلى الأذنين، والمرأة إلى المنكبين، لأنه أستر لها. ولا دليل على ذلك [1]. نيل الأوطار (٢ / ٧٣).

٣ – يضع الرجل يديه تحت السرة، والمرأة على صدرها أو دونه فوق السرة، لأنه أستر لها. والأحاديث الواردة الضعيفة الغير الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يضع يديه تحت سرته، حملوها في حق الرجال، والأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في وضع اليدين على صدره – صلى الله عليه وسلم – جعلوها خاصة في حق المرأة، لأن مراعاة الستر أولى من مراعاة السنة، فيا للعجب! [2]

٤ – تخفض المرأة في الركوع قليلا، ولا دليل عليه، بخلاف الرجل فإنه يبسط تماما بحيث يستوي ظهره، لا ينكس ظهره عن رأسه ولا يرفعه بل يبسطهما.

٥ – يضع الرجال أكف اليدين في الركوع على الركبتين منفرجة غير ملاصقة بخلاف المرأة فإنها لا تضعها منفرجة كالرجال.

٦ – تفرش المرأة اليدين مع الذراعين في السجود. وهذا لا دليل عليه، بخلاف الرجل فإنه يرفع ذراعيه عن الأرض.

٧ – لا تجافي المرأة إبطيها في السجدة، أي: تضم المرفقين إلى جنبيها. وهذا لا دليل عليه، بخلاف الرجل.

٨ – تضم المرأة بطنها بفخذيها في السجود، أي: تخفض في سجودها بحيث لا تجافي بطنها عن فخذها، بخلاف الرجل، فإنه ليس له مجافاة بطنه عن فخذه. ويستدلون على ذلك بحديثين:

---

[1] انظر: فتح الباري (٢ / ٢٥٩). قال القاضي خان في فتاواه (١ / ٨٥): "والمرأة ترفع كما يرفع الرجل". وهذا، صححه العلامة ابن عابدين في حاشيته (٥ / ٢٧٩) حيث قال عنه: "وهو من أهل التحقيق والترجيح".

[2] انظر: البحر الرائق (١ / ٣٢٠) ومراقي الفلاح (ص ٢٠٩) مع الطحطاوي.

أحدهما: ما رواه أبوداود في مراسيله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على امرأتين تصليان، فقال: إذا سجدتما فضما بعض اللحم إلى الأرض، فإن المرأة ليست في ذلك كالرجل [١].

هذا حديث مرسل [٢]، والمرسل لا يصلح أن يكون دليلا ولا حجة [٣].

والثاني: "إذا سجدت المرأة التصقت بطنها بفخذها كأستر ما يكون لها". أخرجه البيهقي [٤]، وضعفه ابن عدي في الكامل [٥] عن ابن عمر مرفوعا. وهذا حديث ضعيف أيضا.

٩ – تتورك المرأة بين السجدتين، وفي القعدة الأولى والثانية، بأن تخرج رجليها إلى الجهة اليمنى، وتجلس على إليتها اليسرى، بخلاف الرجل، فإنه ينصب رجله اليمنى في المواضع الثلاثة ويفرش رجله اليسرى ويجلس عليها. والأحاديث الصحيحة التي ثبت بها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتورك. (التَورّك: هو نصب الرِجل اليمنى، والجلوس على الورِك اليسرى بتقديم الرجل اليسرى إلى الجهة اليمنى – أخرجه البخاري [٦] –أو إخراجها إلى الجهة اليمنى والجلوس على الورك اليسرى – أخرجه أبوداود[٧]) جعلوها في حق النساء للآثار التالية:

---

[١] أخرجه أبوداود في مراسيله (باب ما جاء في الدعاء، ص: ١٠٣ والبيهقي في الكبرى (٢ / ٢٢٣)، وقال الحافظ: رواه البيهقي من طريقين موصولين، ولكن في كل منهما متروك. التلخيص الحبير (١ / ٢٤٢) وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٤).

[٢] لأنه من رواية يزيد بن أبي حبيب التابعي (التهذيب ١١ / ٣١٨) روى عنه سالم بن غيلان التجيبي، قال عنه الدارقطني: "متروك". انظر: ميزان الاعتدال (٢ / ١١٣).

[٣] ذكر الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه: أن المرسل في أصل قولنا، وهو قول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة. وكذا حكاه ابن عبد البر عن جماعة أصحاب الحديث ... وهذا الذي استقر عليه آراء حفاظ الحديث ونقاد الأثر وتداولوه في تصانيفهم. ووجه ذلك: أنه حذف فيه راو غير معروف. وقد يكون غير ثقة، والعبرة في الرواية بالثقة واليقين ولا حجة في المجهول. انظر:مقدمة صحيح مسلم (١ / ١٣٢) والتمهيد (١ / ٨) وإرشاد طلاب الحقائق (١ / ١٧٢) واختصار علوم الحديث لابن كثير (ص ٤٨) مع شرحه الباعث الحثيث.

[٤] (٢ / ٢٢٣) وضعفه.

[٥] (٢ / ٦٣١) في ترجمة: الحكم بن عبد الله، أبو مطيع البلخي.

[٦] (٨٢٨) .

[٧] (٩٦٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١ / ١٨١).

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل كيف كان النساء يصلين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "كن يتربعن، ثم أمرن أن يحتفزن". أخرجه أبوحنيفة في مسنده [١].

قال القاري: أي: يضممن من أعضائهن بأن يتوركن [٢].

وعن نافع: أن صفية كانت تصلي، وهي متربعة. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه [٣].

وعن نافع، قال: كن نساء ابن عمر يتربعن في الصلاة. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه [٤].

فعلم من هذا بوجود الفرق بين جلسة الرجل والمرأة، لكن في صحيح البخاري "كانت أم الدرداء تجلس في صلاتها جلسة الرجل، وكانت فقيهة" [٥]. أي: أن أم الدرداء الكبرى الصحابية، أو الصغرى التابعية كانت تجلس جلسة الرجل بأن تفترش في القعدة الأولى، وتتورك في القعدة الأخيرة.

فعلم من هذا أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في الجلسة في الصلاة. ويذكر علماء الحنفية فروقا أخر – أيضا – غيرها، ولكن الحقيقة أن الفروق المذكورة بين الرجل والمرأة في أحكام الصلاة لا تثبت بأحاديث صحيحة [٦].

❖❖❖

---

[١] (ص ١٩١)، وانظر: إعلاء السنن (٣ / ٢٨) (٧٧٦) بسند ضعيف.

[٢] انظر: شرح مسند أبي حنيفة (ص ١٩١).

[٣] (١ / ٢٧٠).

[٤] (١ / ٢٧٠).

[٥] (٢ / ٣٥٥) ووصله في التاريخ الصغير (ص ٩٥) من طريق مكحول عنها. ورجال إسناده ثقات، كلهم رجال الصحيح. وفي رواية له من طريق أخرى عنه: رأيت أم الدرداء تجلس. فالسند صحيح .... وأم الدرداء هي: الصغرى، واسمها: هجيحة، وهي زوج أبي الدرداء رضي الله عنه. انظر: صحيح البخاري باختصار الشيخ الألباني: ١ / ٢٥٧.

[٦] قال الشيخ ابن باز رحمه الله في فتاواه (١١ / ٧٩): "الصواب أنه ليس بين صلاة الرجل والمرأة فرق، وما ذكره الفقهاء من الفرق ليس عليه دليل ..... وحديث "صلوا كما رأيتموني أصلي" أصل يعم الجميع والتشريعات تعم الرجال والنساء، إلا ما قام الدليل عليه بالتخصيص".

والحديث المشار إليه أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣١).

وللمزيد يراجع: الكافي لابن عبد البر (١ / ١٧٢ – ١٧٣) وصفة صلاة النبي للشيخ محمد رئيس – رحمه الله – الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس (ص ٥٥٤).

من أخبار الجامعة السلفية

إقامة مخيم طبي في الجامعة السلفية:

في يوم الأحد: ٩ / ٢ / ١٤٣٧ هـ = ٢٢ / ١١ / ٢٠١٥م أقامت الجامعة مخيما طبيا بالتعاون مع مستشفى ميكس الواقع في نيو دلهي عاصمة الهند. تم الفحص في المخيم لأكثر من مائة شخص، حيث خضعوا لفحص ضغط الدم والسكر والقلب على يد كبار أطباء إخصائيين لأمراض القلب. منهم الدكتور ويويكا كمار من مستشفى ميكس من دلهي، والدكتور اتل كمار من مستشفى سوريا من بنارس.

وبهذه المناسبة عقد برنامج توعوي في قاعة المحاضرات بالجامعة قبيل صلاة الظهر، بدئ الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلاها الطالب نسيم أحمد بن عبدالأحد من السنة الثانية للعالمية، وقد ترجم هو أيضا معاني الآيات إلى اللغة الأردية. ثم قام الأمين العام للجامعة فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد السلفي وتحدث عن أهداف إقامة المخيم بالجامعة كما رحب بالضيوف من الأطباء والمسؤولين، وقدم شكره وامتنانه إلى مسؤولي مستشفى ميكس على تفضلهم بإقامة المخيم الطبي بالجامعة السلفية. ثم ألقى سعادة الدكتور ايم بي جورسيا كبير أطباء المديرية كلمته، أبدى فيها إعجابه بزيارة الجامعة والاطلاع على أنشطتها المتنوعة. كما تحدث عن الحياة السعيدة وضرورة معرفة الخالق وأداء حقوقه. ثم ألقى الدكتور ويويكا كمار محاضرة قيمة عن أمراض القلب وأسبابها وعلاماتها وسبل الوقاية منها مستعينا بجهاز البروجيكتر في شرح بعض الأمور الهامة. وفي نهاية الحفل قدم فضيلة الشيخ عبد الله سعود أمين عام الجامعة ترجمة هندية لمعاني القرآن الكريم إلى الضيوف الأطباء. وهذه الترجمة من نشر إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية. وقد أدار الحفل الطالب عبد الله زبير عالم من السنة الثانية للفضيلة، وحضره عدد من أعيان مدينة بنارس إلى جانب الأساتذة والطلاب والموظفين.

الشيخ رضاء الله عبد الكريم يلقي محاضرة في الجامعة:

قام الداعية الكبير فضيلة الشيخ رضاء الله عبد الكريم المدني بزيارة الجامعة السلفية يوم السبت: غرة شهر صفر ١٤٣٧ هـ = ١٤ / ١١ / ٢٠١٥م، وألقى محاضرة بعد صلاة المغرب في مسجد الجامعة حول التعليم والدعوة، وتحدث بشيء من التفصيل عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم، كما ألقى ضوءا كافيا على بعض الأمور المهمة المتعلقة بالدعوة والإرشاد، وحث الطلاب على الالتزام بالصبر والتأني والإخلاص في الدعوة.

تمثيل الجامعة السلفية في ندوة علمية في أعظم كره:

عقدت كلية شبلي بمدينة أعظم كره ندوة عالمية عن "سير أمهات المؤمنين رضي الله عنهن" في يومي السبت والأحد: ٨ – ٩ / ٢ / ١٤٣٧ هـ = ٢١ – ٢٢ / ١١ / ٢٠١٥م، شارك فيها عدد من أساتذة الجامعة ببحوثهم ومقالاتهم. منهم الشيخ أسعد أعظمي والشيخ محمد أسلم المدني والشيخ عبد الرحيم الرياضي والشيخ دل محمد السلفي. وقد قدم الشيخ أسعد أعظمي خطبة افتتاحية في حفل افتتاح الندوة بتكليف من المسؤولين عن الكلية والندوة.

المسؤول الثقافي بسفارة جمهورية مصر العربية يزور الجامعة:

قام الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحمن القاضي، المسؤول الثقافي بسفارة جمهورية مصر العربية في نيو دلهي بزيارة الجامعة السلفية في يوم الاثنين: ١٠ / ٢ / ١٤٣٧ هـ = ٢٣ / ١١ / ٢٠١٥م. قام الضيف الكريم بجولة على الفصول الدراسية والمكاتب الإدارية والمكتبة المركزية إلى جانب مدرسة المنار للعلوم العصرية ومدرسة زيد بن ثابت لتحفيظ القرآن الكريم، التابعتين للجامعة السلفية، والتقى بالمدرسين والمسؤولين، وجلس مع فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد السلفي، الأمين العام للجامعة في مكتبه، وتبادل معه الحديث حول أمور التعليم والدعوة وسبل التعاون بين الجامعة السلفية والمراكز التعليمية والدعوية في مصر. وألقى كلمة مختصرة بعد صلاة الظهر في مسجد الجامعة أبدى فيها إعجابه بالجامعة وسير العمل فيها وما قامت وتقوم به الجامعة من أعمال علمية ودعوية على مختلف الأصعدة، ورغب الطلاب في الالتحاق بجامعات مصر ومعاهدها ومواصلة الدراسة فيها بعد التخرج من الجامعة.

❖❖❖